كتب سياسية

الكتاب الثاني عشر

مجموعة مصرية ١٠٠٪

الزعيم الثائر

بقلم

عبد المنعم شميس

كتب سياسية

الكتاب الثانى عشر



بقلم

عبد المنعم شميس



مقدمة

عندما صدرت الطبعة الأولى من هذا الكتيب فى سنة ١٩٥٤ ، لم تكن خطوات الثورة المصرية قد وصلت الى قمة واقعها العملى الذى تبلور وتألق منذ مؤتمر باندونج وبعد تأميم شركة قناة السويس وما أعقب ذلك من كفاح مرير ضد الغزو الثلاثى الغادر على مصر ٠٠ ثم ما تلا ذلك من انتصارنا الباهر على قوى الاستعمار التى تساندت وتكتلت لتقضى على شعبنا ، فقضينا عليها وخرجنا من المعركة ظافرين ٠

لم تكن هذه الخطوط الكفاحية قد تشابكت تشابكا كاملا عندما صدرت الطبعة الاولى من هذا الكتيب ، ولكن هذه الخطوط كانت موجودة فى صميم حياتنا ، وكانت ماثلة فى فلسفة ثورتنا ، وسوف تزداد عمقا وقوة يوما بعد يوم وساعة بعد ساعة لتؤكد رغبات شعبنا فى الوصول الى جميع أهدافه التى تمثلت أول ما تمثلت فى ثورة ٢٣ يوليو ، ثم سارت فى طريقها لتحقق الخطوات الثورية الهائلة فى سياستنا الداخلية والخارجية على السواء ٠

وعندما أردت مراجعة الكتيب قبل تقديمه فى هذه الطبعة الثانية لم أستطع تغيير حرف واحد مما كتبت ، فأعدت القراءة والمراجعة ٠٠ وعجزت عن التغيير أو التبديل ثم أدركت أخيرا أن ما حاولته كان وهما ٠٠ فهذا الكتيب لا سبيل الى تغيير اتجاهه أو فكرته رغم أنه كتب فى وقت باكر لم تظهر خلاله جميع خطوط السياسة المصرية الثورية ، وسبب ذلك هو أنه تصوير لشخصية راسخة تحمل جميع معانى الاصرار على الخطة والهدف والسياسة ٠

وقد قلت فى تقديم هذا الكتيب عام ١٩٥٤ انه ليس تاريخا لحياة الرئيس جمال عبد الناصر ، وليس تحليلا لشخصيته الثورية ، وليس

تعريفا به للناس •• لأن تاريخ حياته يحتاج الى مجلد كبير تفصل فيه خطوط هذه الحياة المليئة الناشطة •• ولأن تحليل شخصيته يحتاج أيضا الى مجلد كبير تدرس فيه ملامح هذه الشخصية القوية اللافتة •• ولأن تعريفه للناس عبث لا طائل وراءه فقد عرفه الناس جميعا •

وقلت أيضا ان هذه الصفحات صورة سريعة لرجل وزعيم وثائر انطبعت في نفسي ولم أستطع البعد عن اظهارها بالألفاظ والكلمات •

وهذه الصورة نوع من التجاوب الشعورى بين بطل ثورتنا وبين أحد المواطنين ، وقد حاولت في هذه الصورة أن أعبر عن هذا التجاوب تعبيرا يستمد خطوطه الرئيسية من الصلات الشعورية التي أقامت الروابط بين الرئيس جمال وبين الشعب ، ووحدت الثورة في نفوس الملايين •

فماذا عسى أن أقول اليوم •• وقد مضت ثلاث سنوات على اصدار هذا الكتيب ؟

ان السياسة تتغير مظاهرها الخارجية وتتشكل صورها في أعين الناس ، والساسة أيضا يتغيرون ويتبدلون •• ولكن الثورة لا تتغير ولا تتبدل ، والثوار لا يتغيرون ولا يتبدلون •

ان ملايين المصريين لا ينسون كلمة قالها الرئيس جمال عبد الناصر في ٢٦ يوليو ١٩٥٦ في الاسكندرية ليلة تأميم شركة قناة السويس ، فقد قال الزعيم الثائر :

ـ انى لست رئيس وزارة من المحترفين •• ولكني جئت عن طريق ثورة ولن أتردد •• فقد قمنا بثورتنا وسنحافظ عليها •

وهذا الكتيب تصوير للزعيم الثائر ، وهو تصوير لا يختلف ولن يختلف مهما مضت عليه السنون والأيام •• لأنه صورة تستمد كل كلمة من كلماتها من قوة الزعيم الثائر الذى حطم الاقطاع والعبودية والاستعمار وبعث مصر بعثا جديدا •

عبد المنعم شميس

في سطور

- ولد الرئيس جمال عبد الناصر في ١٥ يناير ١٩١٨ بمدينة الاسكندرية
- أسرته مصرية صميمة نشأت في قرية بني مر مركز أسيوط
- تنقل مع والده في بلاد كثيرة وشاهد منذ طفولته الباكرة الحياة المصرية في مختلف صورها
- استهل دراسته الابتدائية بالاسكندرية
- نال شهادة البكالوريا في يونيو سنة ١٩٣٦
- تقدم الى الكلية الحربية ولم يقبل طلبه فتحول الى كلية الحقوق ومكث بها خمسة أشهر
- تقدم مرة أخرى الى الكلية الحربية في مارس سنة ١٩٣٧ وكان عمره ١٩ سنة فقبل
- تخرج في الكلية الحربية في أول يوليو سنة ١٩٣٨ وجاء في تقرير الكلية عنه :

  حصل على درجة جيد في العلوم العسكرية

  محب للضبط والربط والألعاب الرياضية
- خدم في كتيبة البنادق الخامسة المشاة في منقباد ثم نقل الى كتيبة البنادق الثالثة المشاة

● رقى الى رتبة ملازم أول فى أول مايو سنة ١٩٤٠
● رقى الى رتبة يوزباشى فى سبتمبر سنة ١٩٤٣
● أسند اليه منصب أركان حرب الكتيبة على الرغم من أنه برتبة يوزباشى ، ولكن العادة جرت على أن يعهد الى الضابط الكفء الممتاز بشغل هذا المركز
● انتدب مدرسا فى الكلية الحربية فى ٧ فبراير سنة ١٩٤٣
● التحق بكلية أركان الحرب فى نوفمبر سنة ١٩٤٥
● نقل الى كتيبة البنادق السادسة فى ٣ يوليو سنة ١٩٤٦
● تخرج فى كلية أركان الحرب فى ١٢ مايو سنة ١٩٤٨
● رقى الى رتبة الصاغ أ٠ح فى ٧ يوليو سنة ١٩٤٨
● منح النجمة العسكرية والمشبك فى عام ١٩٤٩
● انتدب مدرسا بمدرسة الشئون الادارية فى ١٧ يوليو سنة ١٩٤٩
● رقى الى رتبة بكباشى أ٠ح فى مايو سنة ١٩٥١
● ندب مدرسا فى كلية أركان الحرب فى ٢٩ نوفمبر سنة ١٩٥١
● قاد ثورة ٢٣يوليو سنة١٩٥٢، وحطم الملكية والاقطاع والاستعمار
● حقق الجلاء النهائى التام عن الوطن

مولد زعيم

اذا قلت اننى اشعر بشعوركم فلأن قلبى من قلبكم ، ودمى من دمكم ، واحساسي من احساسكم ‥ ولأول مرة فى تاريخ مصر استطاعت فئة من ابناء مصر أن تشعر شعورا متحدا قويا وان تقيم على ارض مصر حكاما منكم ٠

« جمال عبد الناصر »

ولد !! ولد !!

ثم أشرقت ابتسامة حلوة على شفتىَ السيد عبد الناصر ، وخرج من الغرفة يردد كلمة واحدة :

ــ الحمد لله ‥ الحمد لله ‥

وتلقاه أصحابه بالتهنئة على ما رزقه الله من ولد ، فجلس بينهم هادئا وادعا يردد آيات من كتاب الله ، ثم امتد بروحه الى عالم علوى شفاف يرى فيه نورانية مشرقة ، ويبصر خلاله ألوانا من الجمال وأطيافا من الرحمة ، ولم يلبث الرجل أن اتخذ له مكانا فى الغرفة **بسط فيه سجادة صلاته ، وصلى لربه شاكرا ما أمتعه به من ولد هو قرة عين له ، وبعد أن فرغ من صلاته قال لبعض أهله وأصحابه:**

ــ هل وجدتم اسما للوليد ؟

وانطلقت شفاههم بأسماء مختلفات ، لعل السيد عبد الناصر سمعها منهم ، ولعله لم يسمعها ، فقد عاد الى زوجه حانيا عطوفا ، وجعل يتأمل ولده فى حب يشد قلبه اليه ، ويقترب بنفسه منه ، ثم قال للأم :

ــ سوف أسميه (جمالا) ٠

وقالت الأم فى حنو شديد :

ــ جمال ‥ جمال !!

فقال الأب :

- نعم .. جمال..والجمال صفة من صفات الله تعالى ، وماأحسب هذا الوليد الا نعمة من نعم الله جلت قدرته .

ومنذ تلك اللحظة فتح القدر أبوابه لهذا الطفل الوليد جمال عبد الناصر ، وكان القدر واقفا فى ذلك اليوم الخامس من شهر ينـاير عام ١٩١٨ على أبواب الاسكندرية يستقبل نسمة جديدة يفتح لهـا أبواب الحياة ، ثم أمسك هذا القدر حياة الطفل الوليد بكلتا يديه وجذب خيوطها جذبا شديدا ، وكأنه يريد أن يقترب بصاحبها الى الشاطىء الثائر ذى الموج المتلاطم ، ثم هبت عواصف شديدة زادت القدر تمسكا بخيوط هذه الحياة الجديدة التى انبعثت فى طفل ولد لرجل من الشعب .

كان جمال فى تلك اللحظات يبتسم فى وجه والدته ، وكانت هى تنظر الى بسمته فى لطف وعطف ، ولم يلبث القدر أن أطل عليه ثم شد خيوط حياته مرة أخرى وانطلق نحـو الشـاطىء العاصف المتلاطم الامواج ، وأبصر الطفل فى تلك اللحظات صـورا قديمة لا زال التاريخ يذكرها فى أسف مرير .

ترى كيف جرؤ القدر على فتح عينى الطفل الوليد على هذا المنظر الفاجع ؟!

قنابل تطلقها سفن الاسطول البريطانى على الاسكندرية اطلاقا شديدا ، فتدمر الحصون وتهدم البيوت وتشـعل النـيران فى كل مكان ..

جيش مصرى ثائر يريد أن يقاوم العـدو فى البحر ، ويريد أن يصارع عدوا آخر جلس فى قصر على الشاطىء .. عـدوا خائنا يسمى توفيقا ورث الملك وورث معه اذلال أهل البلاد وتضييع هذا الشعب ..!

ويتصاعد اللهب من كل مكان ٠٠ من المـاء ٠٠ ومن الارض ٠٠ ثم تصبح الاسكندرية شعلة من النار ، ويخرج الالوف من أبناء هذا الشعب هاربين بعد الهزيمة ، وبعد الخيانة ٠٠ ويرسم القدر يوم ١١ يولية ١٨٨٢ وسط النيران الملتهبة ، والجمـاهير الهاربة ٠٠ ثم يفتح عينى الطفل الوليد على هذا اليوم المرسوم بين النيران والدماء والضحايا ، بعد ستة وثلاثين عاما قضاها التاريخ ساهما واجما على شواطىء الاسكندرية ، وكأنه يترقب يوما يثور فيه الموج فيحطم أسطول الانجليز ، أو تندفع ناره خلاله ثورة تبيد جيوشهم الغازية

وكانت خيوط هذه الحياة الجـديدة التى انبعثت فى هـذا الطفل عجيبة غريبة تمتد الى بعيد فى أقصى الصعيد ، حيث نشأت أسرة السيد عبد الناصر حسين فى بلدة (بنى مر) من أعمـال مركز أسيوط ، ثم انتقل الوالد الى الاسكندرية بحـكم عمله الرسمى لينجب ولده البكر فى المكان الذى بدأت قـدم الاحتلال البريطانى ترسو فيه فوق ظهور الخونة المـارقين الذين طعنوا ثورة الشعب ووطدوا عرش الملك فوق عظام الضحايا وجماجم الشهداء ٠

ومضت حياة هذه الاسرة المصرية كما تمضى حياة عشرات الاسر ومئاتها وألوفها فى طبقات هذا الشعب ، عسر ويسر ٠٠ ومشقة قد تشوبها بارقة من أمل ، وعناء يحتمله الصبر ٠ ولم تكد شهور تمضى على حياة جمال الطفل حتى اندلعت نيران ثورة فى كل مكان ، وهب الشـعب المصرى يطلب حقه فى الحيـاة ، وكانت طلقات المدافع والرشاشات هى الصوت الذى تعوده جمال وتعوده أطفال هـذا الجيل الناشىء فى ظل ثورة ١٩١٩ ٠

لا هتاف فى مصر من أقصاها الى أقصاها الا للحرية والاستقلال، ولا صنيع لبريطانيا الا اطلاق الرصاص على الهاتفين لحرية بلادهم ، وأوشكت الثورة أن تنجح ، وأوشك الاحرار أن يحطموا الاستعمار البريطانى ٠٠ ولـكن ٠٠ حدث فى تلك الثورة ما حدث فى ثورة

عرابى وظهر الخونة أعداء الشعب ليطعنوا الثـــورة ويقيموا قوائم العرش مرة أخرى وسط بركة من دماء الشهداء ، ثم أصبح لمصـــر ملك ودستور وبرلمان ، وبقى الاحتلال البريطانى يفاوض ويماكس ويساوم على حساب الشعب وحياة الشعب •

وسارت حياة جمال عبد الناصر فى ظل هـــذه الحيـاة المصرية القلقة التى تريد أن تنقض على الاستعمار فيردها الملك أحيـــانا ، ويردها الباشوات والحكام والارستقراط أحيانا أخرى ••

حياة كلها قلق •• وكلها عذاب •• وكلها اضطراب •• يتنقــل فيها جمال عبد الناصر من بلدة الى بلدة ، ومن قرية الى أخرى مع أسرته التى تنقــل عائلهـــا فى عدة بلاد بأنحـــاء مصر بحكم عمله الرسمى فى مصلحة البريد •

وظل جمال عبد الناصر ينتقل من مدرسة الى مدرسة كلما انتقل أبوه الى مدينة أو بلدة ، ويذكر التاريخ أن آخر مدرسة أولية كان بها كانت فى بلدة الخطاطبة من أعمال مديرية البحيرة ، ولم يلبث أن بدأ دراسته الابتدائية فى مدرسة النحاسين حين نقل والده الى القاهرة ، وبعد عام واحد التحق بمدرســـة العطارين الابتدائيـــة بالاسكندرية حيث نقل أبوه اليها •• ثم عاد مرة ثانية الى مدرسة النحاسين وبقى بها حتى نال شهادة اتمام الدراسة الابتدائية •

وأشفق الوالد على ولده من كثرة التنقل معه فى أرجاء البـــلاد فألحقه بمدرسة حلوان الثانوية بالقسم الداخلى حيث مكث بهـــا عاما واحدا ، ثم جره حنين الوالد الى الاسكندرية حيث ألحقه بمدرســـة رأس التين الثانوية عام ١٩٣٠ ، ولكنه لم يلبث أن عاد الى القاهرة والتحق بمدرسة النهضة حيث استكمل دراسته الثانوية بها •

ونال جمال شهادة الدراسة الثانوية فى يونيـــة ١٩٣٦ ، ورغب فى الالتحاق بالكلية الحربية ، ولكن طلبه لم يقبل ، فالتحق بكلية

الحقوق بجامعة القاهرة فى أكتوبر ١٩٣٦ ، ومكث بها خمسة أشهر، وعلى أثر اعلان الكلية الحربية عن حاجتها الى طلبة قدم طلبه اليهـا فقبل مع أربعين طالبا ، فى شهر مارس سنة ١٩٣٧ وكانت سنه اذ ذاك ١٨ سنة •

ومكث الشاب بالكلية الحربية ستة عشر شهرا تخرج بعدها برتبة الملازم الثانى فى أول يوليه سنة ١٩٣٨ •

هذه الحياة السريعة الخاطفة التى قدمت لك خطوطها الرئيسـية كانت مليئة بالاحداث ، مفعمة بالآمال ، عامرة بالثورة •

لقد ولد جمال عبـد الناصر ثائرا •• ولد مع ثورة ١٩١٩ •• ومضت حياته حتى اليوم ثورة لا تعرف التردد ولا تعرف الهزيمة •

وفى السابعة من عمره انتهره والده ونهـاه عن الحفر فى فنـاء منزلهم ، ولكنه استمر فى عمله ، وبدلا من أن يكف عن الحفر حفر حفرة كبيرة واسعة كانت كافية لاظهـار قدرته على الاستمرار فى العمل الذى ينصب نفسه له •

وقد بدأ جمال اشتغاله بالسياسة فى سنة ١٩٣٠ بالاسـكندرية حين كان طالبا بمدرسة رأس التين الثانوية ، فاشترك فى مظاهرات الطلبة ضد حكم اسماعيل صـدقى ، ووقف مع زملائه من الثائرين على الحكم الطاغى يهتف للحرية لأول مرة فى حياته فى ميدان المنشية بالاسكندرية ، ثم انهال عليه وعلى زملائه وابل الرصاص فقتل من قتل وجرح من جرح وازداد جمال ايمانا بالثورة وايمانا بنفسـه وبقدرته على الكفاح •

ولم يلبث الفتى الثائر أن أصبح زعيما للطلبة فى مدرسته سنة ١٩٣٥ فقاد مظاهرة خرج فيها طلبة مدرسة النهضة بالقـاهرة فى نوفمبر ١٩٣٥ عقب تصريحات مستر هور وزير الخارجية البريطانية الذى كان يعارض فى عودة دسـتور ١٩٢٣ لمصر ، وأصيب الفتى

الثائر فى هذه المظاهرة التى مات فيها اثنان من الطلبة ، ثم تعقب جندى من جنود البوليس جمالا الثائر وضربه بعصاه ، وما زالت جبهته تحمل الى اليوم أثر هذه الضربة ، فسال دمه ودخل حين سالت دماؤه دار احدى الصحف ليضمد جراحه ، ونشرت تلك الصحيفة اسمه فى اليوم التالى بين أسماء المكافحين الثائرين ، وكانت هذه هى المرة الاولى التى ينشر فيها اسمه فى الصحف .

وحين عاد الى مدرسته علم أنه فصل منها ، فأضرب زملاؤه عن تلقى دروسهم تضامنا مع زعيمهم المفصول حتى يعود .. فعاد ..

ومنذ ذلك اليوم صمم جمال على أن يفرغ من دراسته ليبدأ كفاحه الحقيقى فى سبيل بلاده ، فلزم منزله وانكب على الاستذكار بغير راحة حتى أنه مكث مرة يستذكر دروسه خمسة عشر يوما متصلة فى غرفته ، وكان يمضى عشرين ساعة فى اليوم على مكتبه ويتناول طعامه أثناء المطالعة .

كانت ثورة جمال فى تلك الايام شعلة من نار ، وكان يحس أنه يجب أن يؤدى واجبه نحو بلاده . وظلت ثورته النفسية تزداد ولا تجد لها متنفسا الا فيما يكتبه الى أصدقائه وأصحابه من رسائل تعبر عن خلجات نفسه وآماله وآلامه .

كان يحس بالفساد والرشوة والاستخذاء فى وطنه .. وكان يحس انه مسئول عن هذا الفساد المستشرى ، وهذا الاستخذاء الوبيل .. مسئول ككل شاب مصرى يؤمن ببلاده .

وقد كتب فى هذه الفترة خطابا الى أحد أصدقائه يقول فيه :

قال تعالى : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة » . فأين تلك القوة التى نستعد بها لهم ؟ ان الموقف اليوم دقيق ومصر فى موقف أدق .. ونحن نكاد نودع الحياة ونصافح الموت ، فان بناء اليأس عظيم الاركان .. فأين من يهدم هذا البناء ؟ ان فى مصر حكومة قائمة على

الفساد والرشوة فأين من يغير هـــذه الحال ؟ ان الدستور معطل ، والحماية على وشك الاعلان فأين من يقول للاستعمار قف عند حدك فان فى مصر رجالا ذوى كرامة لا يريدون أن يموتوا كالانعـــام •• أين الكرامة ؟ أين الوطنية ؟ أين ذلك الذى يسمونه رعونة الشباب؟ كل ذلك قد غاب فى الآفاق وظهـــرت الامة نائمة كأهل الـكهف والرقيم ! فأين من يوقظ هؤلاء التعســـاء الذين هم عن حالتهم لا يعلمون ، قال مصطفى كامل (لاحياة مع اليأس ولا يأس مع الحياة) ولكنا نجد الآن حياة مع يأس ويأسا مع حيـــاة •• لقـد انقلبت الآية يا أخى ، فرجعنا الى الوراء • رجعنا خمسين سنة الى الوراء !! رجعنا الى حكم كرومر •• ولكن كرومر وجد من أذله وشنع به فى المعمـــورة ، فكانت النتيجة أن استقال •• ولكن أين من يشـــنع الآن ؟! ان الجميـــع يتمسحون بأذيال الاســـتعمار ولا يعرفون الا الملق والتزلف • أين ذلك البلسم الذى تســـتظل بظله الوطنيـــة ويحتمى به الوطنيون ساعة الخطب المروع ، وهـــو أثبت من الاطواد رأيا وقلبا ، اذا عز النصير ، وخيف الزيغ وأرهبته القوة الغشوم ؟! بل أين الوطنية التى كانت سنة ١٩١٩ تشتعل نارا فى الصدور ؟ بل أين ذلك الذى يذود بلسانه وخطرات قلبه عن حياض هذا الوطن العزيز المقدس ، مضحيا الحياة والعمر فى سبيل الاستقلال ؟!

لقد انتقلنا من نور الامل الى ظلمة اليأس ، ونفضنا بشائر الحياة واستقبلنا غبـــار الموت ، فأين من يقلب كل ذلك رأسا على عقب ، ويعيد مصر سيرتها الاولى ، يوم أن كانت مالكة العـــالم ! أين من يخلق خلقا جديدا ، حتى يصبح المصرى الخافت الصـــوت الضعيف الامل ، الذى يطرق برأسه ساكنا صابرا على حقه المهضـــوم ، يقظا •• عالى الصوت •• عظيم الرجاء •• مرفوع الرأس يجاهد بشجاعة وجرأة فى طلب الاستقلال والحرية ؟!

يقولون أن المصرى يجزع من حفيف ثيابه فى وضح النهـــار ، ولكن يجب أن يتقدم من يقودونه الى مواقف الدفاع ومواطن الكفاح

فيكون لهم صوت أعلى من صوت الرعد ، تتداعى لقوته أبنية الظلم والاستبداد •• فكل روح سكنت جسما جاء من أبوين مصريين لا ترضى بحالتنا الراهنة ، وتبذل نفسها قربانا للوطن العزيز والجامعة الوطنية المقدسة •

قال مصطفى كامل : لو نقل قلبى من اليسار الى اليمين ، أو تحرك الاهرام من مكانه المكين أو تغير مجرى النيل فلن أتغير عن المبدأ ••

كل ذلك مقدمة طويلة لعمل أطول وأعظم ، فقد تكلمنا مرات عديدة عن عمل يوقظ الامة من غفوتها ، ويضرب على الاوتار الحساسة من القلوب ، ويستثير ما كمن من القوى فى الصدور •• ولكن كل ذلك لم يدخل فى حيز العمل الى الآن •• وعلى ذلك فانا منتظرك فى منزلى يوم ٤ سبتمبر سنة ١٩٣٥ الساعة الرابعة مساء لكى نتباحث فى الموضوع ، وأملى أن تحضر فى الموعد المحدد •

جمال عبد الناصر

* * *

هذا الشاب الثائر يبحث ويعمل وهو فى ربيع العمر عن عمل يوقظ الامة من غفوتها ، ويقول أنه لو تغير مجرى النيل فانه لن يتغير عن مبدئه •• تماما كما قال مصطفى كامل •

ان مصر العظمى تملك عليه فؤاده ، وهو يبحث عن الزعيم الذى يقلب غبار الموت ليبعث الحياة فى أمته ، ويجول ببصره فى تلك الظلمات القاسية الرهيبة ليرى ذلك الرجل الذى يخلق مصر خلقا جديدا •

وتتجمع هذه الاطياف من حوله لا تفارقه ولا يفارقها ، بل يفكر دائما فى طريق الخلاص ، ولعله فكر يوما فى أن هذه الخيالات قد

تصبح حقيقة .. ولكنه بعد أن أصبح ضابطا فى منقباد من أعمال مديرية أسيوط فى يولية ١٩٣٨ كتب رسالة الى أحد أصدقائه يقول فيها :

«يسرنى أن تعلم أن أخلاقى ما زالت متينة .. فطبعا جمال الحاضر أو الموجود فى منقباد هو جمال الذى تعرفه منذ زمن بعيد .. الذى يبحث عن آماله فى الخيال ولكنها تفر منه كالاشباح » .

نعم كانت هذه الآمال مع جمال فى كل مكان ، ولكنه لم يكن وسط الظلمات الرهيبة القاسية التى عاش فيها وعاشت فيها مصر يستطيع أن يمسكها بيديه ولكنها كانت تفر منه كالاشباح .

كان فى منقباد يفكر فى المستقبل ، وكان يرى زميليه أنور السادات وزكريا محيى الدين يتفقان معه فى التفكير فى هذا المستقبل .. ولكن أين كان بقية الشباب من ضباط الجيش ؟ ان جمالا يقول لك أنه لا زال متمسكا بأخلاقه المتينة لايريد أن يتنازل عنها ، ولذلك بدأ يسخر من عجرفة الضباط الكبار الذين وضعهم الاستعمار فى مناصبهم ليقتلوا الجيش ، وأثار ضدهم الضباط الشبان وأصبحت زعامته المرموقة فى الكتيبة هى العاصم الذى يلوذ به من السقوط مع الآخرين الذين استسلموا للمذلة والهوان .

انه يعلم — كما كتب هذا فى احدى رسائله التى خطها بيده فى فبراير ١٩٣٩ :

« اننا نشتغل الآن تحت رياسة شنوية (.....) أكثرهم أو جلهم يتمنون عودة الاستعمار للسيطرة على الجيش .. كلهم مجردون من الاخلاق ربنا (ما يوريك) »

وهكذا رسم جمال الثائر خطة حياته منذ مطلع شبابه ، فأخضع نفسه للمثل العليا والاخلاق الفاضلة وجعل هدفه فى الحياة متصلا بالاخلاق وحدها ، وليس يهمه بعد ذلك .. ماذا يكون ؟

ويبدو أن مصر قد ضاقت بجمال وهو لا زال فى مطلع حيـــاته العسكرية ، فأراد أن ينفس عن آلامه وأحزانه التى عاشت معه منذ مطلع فتوته أسفا على هذا الوطن الذى ابتلى بأبنائه ، فلم تكد ادارة الجيش تعلن عن ضباط يسافرون الى السودان حتى سارع الى طلب نقله ، فألحق بالكتيبة المشاة الثالثة فى شهر ديسمبر سنة ١٩٣٩، وفى السودان تعرف بصديقه (الملازم الثانى عبد الحكيم عامر) • وتلاقت نفس ثائر بنفس ثائر •

وفى الخرطوم جلس جمـــال عبد الناصر يفكر فى المستقبل •• يفكر فى هذا الجيل الذليل الذى رضى بالخنوع والاستسلام ثم أمسك بقلمه وكتب رسالة الى أحد أصدقائه يقول فيها :

« كل عيبى هنا فى عملى أنى (دغرى) لا أعرف الملق ولا الكلمات المنمقة ولا أتمسح بالاذيال •• اذ أن شخصا هذه صفاته يحترم من الجميع ، ولكن الرؤساء •• الرؤساء يسوؤهم ذلك الذى لا يسبح بحمدهم •• يسوؤهم ذلك الذى لا يتملقهم •• فهذه كبرياء ، وهم الذين اعتادوا الذل فى كنف الاستعمار •• يقولون : كما كنا يجب أن يكونوا •• ! كما رأينا يجب أن يروا •• ! والويل كل الويل لذلك المتكبر ـ كما يقولون ـ الذى تأبى نفسه السير على منوالهم !! ويحزننى أن أقول أن هذه السياسة نجحت نجـــاحا باهرا ، فهم يصهرون نفوس الشبان ـ وكلهم شبان لم تضلهم الايام بعـــد ـ ويحزننى أن هذا الجيل الجديد قد أفسده الجيل القديم •• فأصبح منافقا متملقا •• ويحزننى أن أقول أننا نسير الى الهاوية •• بالرياء •• والنفاق •• والملق •• الدنايا التى تنتشر بين الصــــغار •• نتيجة لمعاملة الكبار •

أما أنا فقد صمدت •• وما زلت •• ولذلك تجدنى فى عــــداء مستمر مع هؤلاء الكبار •• ولا حول ولا قوة الا بالله »

إنه شاب يسير فى خط واحد مستقيم رسمه لنفسه ، وأبى أن

يغيره أو يتحول عنه ، وهو فى اصراره على السير فى هذا الطريق المليء بالاشواك قوى أبى لا يهمه كبير ، ولا يكترث بمنصب عظيم ، بل يهمه أن يكون رجلا .

ولم يكن جمال عبد الناصر من الاغنياء حتى يضمن لنفسه حياته اذا ما حطمه هؤلاء الكبار الذين يعيشون على الرياء والنفاق والملق والدنايا ، ولكنه رجل فقير لا يملك شيئا ٠/٠ معذرة .. بل هو يملك كل شيء .. يملك نفسه ..

عاش جمال ثائرا قويا بنفسه لا يسند من عظيم أو كبير .. بل انه كان يقاوم العظماء والكبراء فى ذلك الزمان ، وكانت زعامته أن يتحرر وأن يستقل وقد ولد حرا مستقلا لا تعوزه وسيلة ليمضى الى سبيله مكافحا جسورا ، ولا يبحث عن شيء يستند اليه خارج نفسه وقلبه وايمانه .

رجل بنى نفسه كالطود ، واستعد لأداء رسالته فى الحياة ، وظل يواصل كفاحه النفسى الثائر سنوات تنقل فيها من السودان الى الصحراء الغربية ، ثم عاد الى القاهرة مدرسا بالكلية الحربية وبدأ عمله بها أول عام ١٩٤٢ وكان قد وصل الى رتبة اليوزباشى ، وهو طوال هذه السنوات يعيش بقلبه ووجدانه مع الملايين من أبناء وادى النيل ، ويفكر دائما فى المصير الرهيب الذى يصنعه الزعماء بأيديهم لهذا البلد الذى نكب بزعامتهم ، حتى اذا ما حاصرت الدبابات البريطانية قصر عابدين يوم ٤ فبراير ١٩٤٢ ثارت نفس جمال عبد الناصر ثورة عنيفة قاصمة ، وكتب الى أحد أصدقائه رسالة يقول فيها :

« انى أشعر بخزى وعار شديدين لان جيشنا سكت على هذا الاعتداء وارتضاه ، ولكنى مسرور على كل حال لان ضباطنا كانوا يشغلون أوقات فراغهم بالحديث عن المتع والمسرات ، ولكنهم الآن بدأوا يتحدثون عن الانتقام والثأر » .

نعم ‥ الانتقام والثأر ، ولكن لا فى سبيل قصر عابدين ، بل فى سبيل مصر التى تمرغت سمعتها فى التراب وأصبحت كرامتها تحت نعال مايلز لامبسون وأسناده من الزعماء ٠

وظلت ثورة جمال تشتد يوما بعد يوم ، حتى أبعده الكبراء عن القاهرة وأرسلوه مع القوة المصرية التى كانت تراقب الموقف الحربى فى منطقة العلمين أثناء الحرب العالمية الاخيرة ٠

وهناك رأى جمال الاستعمار البريطانى على حقيقته ، وبدأت نفسه الثائرة تنطلق وتريد ان تحطم هذا الاستعمار الاسود ‥ولكن الكبراء الاذلاء أبعدوه عن الجيش !!

وفى ذلك الوقت كتب الى أحد أصدقائه رسالة يقول فيها :

« آن خطابك جعلنى أغلى غليانا مرا ‥ وكنت على وشك الانفجار من الغيظ ‥ ولكن ما العمل بعد أن وقعت الواقعة وقبلناها مستسلمين خاضعين خائفين ؟! الحقيقة انى أعتقد أن الاستعمار يلعب بورقة واحدة فى يده بقصد التهديد فقط ‥ ولكن لو أنه أحس أن بعض المصريين ينوون التهديد بدمائهم ويقابلون القوة بالقوة ، لانسحب كأى امرأة من العاهرات ، وطبعا هذا حاله أو تلك عادته ‥ أما نحن ‥ أما الجيش فقد كان لهذا الحادث تأثير جدى على الروح والاحساس فيه ، فبعد أن كنت ترى الضباط لا يتكلمون الا عن الفساد واللهو أصبحوا يتكلمون عن التضحية والاستعداد لبذل النفوس فى سبيل الكرامة ‥‥ وأصبحت تراهم وكلهم ندم ، لانهم لم يتدخلوا — مع ضعفهم الظاهر — ويردوا للبلاد كرامتها ويغسلوها بالدماء !‥ ولكن ، ان غدا لناظره قريب ‥ لقد حاول البعض بعد الحادث أن يعملوا شيئا بغية الانتقام ٠ ولكن كان الوقت قد فات ٠ أما القلوب فكلها نار وأسى ٠

عموما فان هذه الحركة ‥ ان هذه الطعنة ردت الروح الى بعض الاجساد ، وعرفتهم أن هناك كرامة يجب أن يستعدوا للدفاع عنها ‥ وكان هذا درسا ‥ ولكنه كان درسا قاسيا ‥ » ٠

وعاد جمـــال الى الجيش قويا ظافرا .. وانصرف الى دراســـة عسكرية عالية فى كلية أركان الحرب مع زميله عبـد الحـكيم عامر ، وتخرج فيها يوم ١٢ مايو ١٩٤٨ ، فألحق بالكتيبة المشاة السادسة بفلسطين في اليوم الثـــانى من تخرجه ، وكانت أول كتيبة دخلت حرب فلسطين يوم ١٥ مايو ١٩٤٨

كان دور جمال عبد الناصر فى حرب فلسطين دورا منقطع النظير، فقد انطلق الثائر الاول قبل أن تدخل مصر حرب فلسطين يريد أن يحمل سلاح الكفاح فى سبيل تحرير الارض المقدسة من الصهيونية

وقدم جمال عبد الناصر استقالته من الجيش ليتطوع فى الحرب، فرفض رئيس الوزراء (المرحوم النقراشي) هذه الاستقالة ،وغضب الثائر الاول لهذا الرفض فذهب الى مفتى فلسطين الحاج أمين الحسينى وطلب اليه أن يتحـــدث مع رئيس الوزراء ليقبل الاســتقالة حتى يتسنى له التطوع للدفاع عن فلسطين فرفض رئيس الوزراء هــذا الطلب مرة أخرى !!

ولم يكن جمال عبد الناصر حين قدم استقالته ليحارب فى فلسطين ثريا من الأثرياء ، بل انه كان رجلا لا يملك سوى راتبه .. وكان والدا لطفلين ، ورغم هذا كانت روحه الوثابة تنطلق نحو فلسطين .

كان يحس فى أعماقه الواعيـــة بأن الله تعالى قد ندبه للجهاد فى سبيله ، فظل يسعى ليتحرر من قيود الوظيفة أولا .. وليحارب بعد ذلك فى سبيل الله .

وتحقق لجمال عبد الناصر ما أراد من جهـاد فى سبيل الله فكان أول المسافرين اليها على رأس فرقته حين أعلنت الحرب ، وفى فلسطين كان جمال يتقدم جنوده ببسالة وجرأة معرضا حياته لأشد المخاطر .

كان قائدا يتقدم جنـــوده دائما ... ولم يكن يقبل أن يظل فى

المؤخرة لاصدار الأوامر كما يفعل القادة فى الحرب الحديثة ، وظل جمال طوال الحرب على رأس جنوده يستقبل الرصاص باسما ، حتى أصيب فى صدره ولكن الله حفظه ليؤدى رسالته فى الحياة لوطنه ٠

وبعد هذه الاصابة حمل الى المستشفى العسكرى فى غزة وعولج وتقرر أن يسافر الى مصر ليستكمل العلاج والاستجمام ٠٠٠ ولكن الثائر الأول ارتدى ملابسه العسكرية قبل أن يتم شفاؤه وعاد الى المعركة فى نفس الوقت الذى اعتقد فيه زملاؤه انه فى طريقـــه الى مصر ٠٠٠

وتقدم جمال جنوده كعادته دائما وواجه الموت فى المعارك مئـات المرات ٠٠ ثم حوصر الجيش فى الفالوجا ، وهناك بث جمال عبدالناصر فى الجنود روحه الثورية العالية ، وظل مع جنوده فى أحلك ســاعات الحصار قويا أبيا ، لا يتخلى عن الأرض التى يضع عليها قدميه ٠٠٠

فى حرب فلسطين تبلورت نفس جمال عبد الناصر واكتسب من غبار المعارك التى خاضها خصائص القائد المجرب والرجل العسكرى الفذ ٠

ولم تمنع هذه الحياة الثائرة جمال عبد الناصر عن حيـــاة الاسرة الهادئة الوادعة ، بل انه لشدة ايمانه وثقته بالله ، واكمالا لمبـــدئه الخلقى القويم ـ تزوج وسط هذه الزوابع والأعاصير فى سنة ١٩٤٣ وله الآن بنتان هما : هدى ، ومنى ، وثلاثة أولاد هم : خالد ، وعبد الحميد ، وعبد الحكيم ٠

الرجل

انا جمـــال عبد الناصر ، افخر بأن
عائلتى لا تزال من بنى مر ، مثلكم انتم
تعمل من اجل عزة هذا الوطن وحريته .
« جمال عبد الناصر »

كان حكام مصر قبل الثورة يسيرون على مبدأ واحد لم يتغير منــذ كتب تاريخ مصر ، هذا المبدأ هو :

« كل شىء لى .. ولو على حساب الآخرين » !!

هكذا فعل محمد على فى نفس اللحظة التى ولاه الشعب فيها حكم مصر ، وخلع عليه المشايخ الجبة والقاووق ، فقد وضع الوالى يده على أرض مصر وعلى ثروة مصر . ثم بدأ يخلع على نفسه كل شىء فامتلك القصور والخيول والسيوف المذهبة ، وعاش عيشــة ملك رغم أنف الذين ولوه الحكم ، بل انه نفى السيد عمر مكرم زعيم الشعب حتى لا يقول له ان هذا الشىء ليس لك !

وهكذا كان أبناء محمد على وأحفاد محمد على .. ثم امتد هذا الداء الوبيل الى أتباع الحكام وحواشيهم وزعانفهم ، حتى أن واحدا منهم يدعى اسماعيل المفتش ادعى ان كل شىء فى مصر له ، وبعد أن قتله مولاه اسماعيل الخديوى أحصيت قصور المفتش فوجد بها أكثر من سبعمائة جارية وألوف الجنيهات وفاخر المفروشات والتحف التى تبلغ قيمتها ألوف الالوف .

وظل كل حكام مصر وأشباه الحكام يؤمنون بهذا المبدأ الدنىء :

« كل شىء لى .. ولو على حساب الآخرين » !!

حتى الصغار الذين كانت لهم بالحكم صلة ، أو بالأحزاب علاقة ،

كانوا يقولون ٠٠ ان كل شيء لهم ٠ وظهرت طبقة من الباشوات الذين انحدروا من أصلاب الفلاحين يؤمنون بهذا المبدأ ويأخذون كل شيء تصل اليه أيديهم ٠ حتى أصبح الرجل يوزن بما فى يده أو فى جيبه ، ولم نجد زعيما أو متزعما يؤمن بأن ما فى يده هو للشعب الا عند الشهداء ٠٠ شهداء الوطنية الذين قتلهم النفعيون والرجعيون وأعوان الاستعمار ، وكان فى قمة المؤثرين لحق الشعب مصطفى كامل ومحمد فريد ٠٠

وكانت مقاييس الرجولة يتعابث بها اللصوص والخطافون والذين أثروا على حساب الشعب ، وكان الغلمان من أبناء الارستقراط يتفاخرون بما تركه لهم أجدادهم من مال مسروق أو ثراء منهوب ، وأظلمت الدنيا أمام الطبقات الشعبية التي سلبت حقوقها حين أصبح الرجل هو ذلك الذى سرق وسلب ونهب حقوق الآخرين ٠٠وأموال الآخرين !

لم تكن الرجولة قوة وكفاحا أو علما ومعرفة أو ايمانا بحق هذا الشعب فى الحياة ٠ بل كانت هذه الأشياء مما تنقص قيم الرجال ، لأن المبدأ الاخلاقى الذى رسمه الملوك والباشوات والحكام كان :

« كل شيء لى ٠٠ ولو على حساب الآخرين » !!

المال ٠٠ والمناصب ٠٠ والسلطة ٠٠ والنفوذ ٠٠ كلها فى أيدى المغتصبين واللصوص ٠

والفقر ٠٠ والضياع ٠٠ والمذلة ٠٠ والهوان ٠٠ كلها من نصيب المكافحين المصابرين ٠

ثم كانت ثورة ٢٣ يوليه ٠٠ ورفع الشعب رأسه لأول مرة فى التاريخ ، ولم يقل قادة الثورة من هم ؟ لم يقل الثوار الاحرار انهم يريدون كل شيء لهم ٠٠ ولو على حساب الآخرين ٠٠٠ بل ان هؤلاء

الثوار أنكروا أنفسهم ولم يقولوا للناس أسماءهم ، وظلت مصر شهورا لا تعرف أسماء الثوار •

هل انقلبت القيم فى مصر ؟ هل أصبح أصحاب السلطان الحقيقى ملائكة ؟ كان هذا سرا من الأسرار التى كشفت عنها الأيام •

لقد نبت فى قلوب الثوار مبدأ ثائر جديد يقول :

« كل شىء للآخرين ولو على حسابى » •

وأصبح الرجل هو الذى يمنح الآخرين حياة من حياته ، وقوة من قوته ، وكفاحا من كفاحه •

استمع الى جمال عبد الناصر يتحدث اليك عن خلجات نفسه •• عما يحسه فى أعماقه وهو الذى بعث الله فى قلبه شعلة الايمان بهذا الشعب •• بنا جميعا •••

استمع اليه يقول :

كانت كلمة (أنا) على كل لسان •

كانت هى الحل لكل مشكلة ، وهى الدواء لكل داء •

وكثيرا ما كنت أقابل كبراء ـ أو هكذا تسميهم الصحف ـ من كل الاتجاهات والألوان ، وكنت أسأل الواحد منهم فى مشـــكلة ألتمس عنده حلها ، فلم أكن أسمع الا (أنا) •

مشاكل الاقتصاد (هو) وحده يفهمها ، أما الباقون جميعا فهم فى العلم بها أطفال يحبون •

ومشاكل السياسة (هو) وحده الخبير بها ، أما الباقون جميعا فما زالوا فى (ألف باء) لم يتقدموا بعدها حرفا واحدا •

وكنت أقابل الواحد من هؤلاء ، ثم أعود الى زملائى فأقول لهم فى حسرة :

ـ لا فائدة ، هذا رجل لو سألناه عن مشكلة صـــيد السمك فى جزائر هاواى لما وجدنا عنده جوابا الا كلمة (أنا) !٠٠

وخلال هذه الكلمات القصيرة تستطيع أن تفهم شخصية الرجل جمال عبد الناصر ، فهو ليس ممن يزعمون لأنفسهم فهم جميـــع المعـــارف والعلوم والســـياسات والاقتصاديات والتجـاريات واللوغاريتمات ولكنه رجل يعرف معنى كلمة رجل ٠٠٠

ليس هو كل شيء ٠٠ ليس هو كل علم ومعـــرفة ، ولكنه رجل يؤمن بأن الرجولة هى الاعتراف بأقدار الناس ، وبمعرفة الناس ، وبعلم الناس ، ولذلك كان يستشير ولا زال يستشير ٠

انه لم يقل ان كل شيء له ، لانه فقير ، وسيظل فقيرا ، وهو لم يقل أيضا انه يعرف كل شيء ، ولكنه يريد أن يعرف آراء الآخرين، فيما يعرفون ٠

ان مرتبة الرجولة المثالية أن يؤمن الرجل بأنه ليس كل شيء فى الوجود ، وأن هنـــاك رجالا آخرين يمكنهم أن يؤدوا واجبهم فى الحياة ٠

هذه الفكرة تسيطر على عقل جمال عبد الناصر وهو لن ينصرف عنها أبدا ، لأنه كثائر وقائد وزعيم لن ينفرد برأيه ، بل انه يطلب آراء الآخرين ٠٠ آراء الرجال الآخرين بشرط واحد هو أن ينكر كل منهم ذاته وأنانيته ويعمل من أجل بلاده ٠٠ تماما كما يفعل جمال عبد الناصر ٠

استمع اليه يقول لبعض أساتذة الجامعة :

ـ ان كل فرد منا يستطيع فى مكانه أن يصنع معجزة ، ان واجبه الأول أن يعطى كل جهده لعمله ، ولو أنكم كأساتذة جامعات فكرتم فى طلبتكم وجعلتموهم ـ كما يجب ـ عملكم الأساسى ، لاستطعتم أن تعطونا قوى هائلة لبناء الوطن ٠

ان كل واحد يجب أن يبقى فى مكانه ويبذل فيه كل جهده .

لا تنظروا الينا ، لقد اضطرتنا الظروف أن نخـــرج من أماكننا لنقوم بواجب مقدس ، ولقد كنا نتمنى لو لم تكن للوطن حاجة بنا الا فى صفوف الجيش كجنود محترفين ، واذن لبقينا فيه ...

خلال هذه الكلمات الثائرة تستطيع أن تدرك معنى الرجولة التى تعرف كيف تؤدى الواجب ؟

كل واحد فى مكانه يؤدى واجبه ...

الجيش لم يتقدم الا لينقذ البلاد من الطغيان والفساد والاستعمار .

ثم ماذا ؟

هل أصبحت القيادة الشعبية وقفا على مصرى دون مصرى ؟ وهل أصبحت الزعامة لرجل من الفلاحين دون رجل ؟..

ان جمال عبد الناصر رجل من الفلاحين ، وأبوه من الفلاحين ، وأجداده من الفلاحين .. من قرية بنى مر فى الصـــعيد ، فكيف لا يقود هذا الفلاح الثائر ، الذى تأصلت فى قلبه وروحه ونفســه خصائص المصرية ، ثورة مصر ؟

انه الرجل الذى يحمل المدفع والبندقية والمسدس .. ويحمل الفأس أيضا .

انه فلاح مثلى ومثلك .. لم نستورده من الاناضول ، أو من قوله .. أو من غيرهما من بلاد الله ليقود المعركة .

أليس من الرجولة أن يقود فلاح المعركة ، وأن يستولى فــلاح على مقاليد الحكم ؟

لقد ظلت أقلامنا هـــــذه تصرخ وتزأر وتطلب حق الشعب فى الحياة ...

وما حق الشعب فى الحياة ؟ أليس هو أن يحكمنا ـ نحن الفلاحين ـ فلاح من بنى مر ؟..

ان هذا الفلاح « جمال عبد الناصر » يقول عن نفسه كما يقول كل فلاح منا عن نفسه :

« انى جزء من المجموع ، ولهذا المجموع من الحقوق والواجبات مالى من حقوق وواجبات ، ان أى انسان يجب أن يعيش مثلى وأن يكون له منزل وأن يجد العلاج وأن يحس بآدميته . يجب أن تكون لكل فرد واجبات وحقوق لا أن تكون عليه واجبات فقط . انه من الظلم أن يكون هناك من يؤدون واجبهم كاملا بينما يجنى غيرهم حقوقهم كلها » .

هذا الرجل يقول ما أريد أن أقوله أنا ، وما تريد أن تقوله أنت.

وهذه الحقوق والواجبات هى معنى الرجولة عند جمال عبد الناصر الذى يعيش عيشة رجل من الشعب حتى هذه اللحظة .

ويتبع هذا الرجل فى حياته نفس العادات التى اكتسبها فى حياته الثائرة ، فيستيقظ فى الساعة السابعة ، ويستقبل بعض الأشخاص لأمور هامة ، ويتناول فطورا سريعا .. ثم يستقل السيارة الرسمية الى مقر عمله ويظل يدرس ويقرأ ويتحدث معسيل لا ينقطع من الرسميين والمساعدين حتى الثالثة بعد الظهر .. فاذا اتسع وقته عاد الى منزله للغداء . ولكنه فى أغلب الأيام يظل فى مكتبه ويتناول طعاما خفيفا من الشطائر ويستمر فى عمله حتى ساعات متأخرة من الليل .

ترى هل أخذ هذا الرجل حقه من الحياة كما أخذه الآخرون ؟ انه يعطى ولا يأخذ ، ويتبع فى سياسته تلك الفلسفة التى جعلها هدفه فى الحياة

« كل شيء للآخرين ولو على حسابي » •

هذا اللون من الرجولة التي تعرف الايثار وتنكر الذات ، هوالذى يسيطر على جمال عبد الناصر •

ومما يروى عن جمال في طفولته الباكرة ، أنه ذهب الى والده يوما ، وقال له :

— أبي !! لماذا نأكل اللحم والفلاحون الذين يرعون الماشية ويربونها لا يأكلونه ؟!

وسكت الوالد •• ولكنه أدرك أن الطفل قد نضج ، وأصبحت له فلسفة في الحياة •

وظهرت ناحية عجيبة في حياة الطفل جعلت والده يشفق عليه اشفاقا شديدا ، وينظر الى ولده الذى بلغ الثامنة من عمره نظرة رجل الى رجل •

لقد نما الطفل نموا سريعا ، وكان جسمه يبدو أطول من سنه كثيرا ، خصوصا ساقيه الطويلتين اللتين كانتا تبدوان وكأنهما ستتعثران بصاحبهما •

وكانت أمه تعنى به عناية شديدة ، لانه كان شاردا دائما •• يفكر في شيء مجهول ، وكانت تنبهه الى كل شيء •• الى طعامه وثيابه ودروسه •• وكان أبوه ينظر اليه دائما بقلق وترقب •

لقد ظهرت الرجولة الباكرة على الطفل الذى أتم ثماني سنوات من عمره • •وكان من ألزم الواجبات على الطفل الرجل أن يؤدى الصلاة ، وأن يصوم شهر رمضان ، وأن يتمسك بأهداب الدين تماما كما يصنع والده وتصنع والدته •

وحين كان جمال فى القاهرة يتعلم ، لم يكن يهمه شىء فى الوجود سوى كتابة خطابات الى والده ووالدته ، وكان يتسلم منهما الردود بانتظام ، ويرى فى نفسه رجولة كاملة تدفعه الى التعلق بأهله وهو شاب صغير •• وفجأة انقطعت رسائل والدته فكتب الى أبيـــه يستوضحه •• ورد الوالد العطوف على ولده قائلا ان أمه لا تستطيع أن تكتب له لانها مشغولة بالاولاد الصغار ، ولا تجد وقتا كافيـــا للرد عليه ، ولكنها تبعث له بأشواقها وسلامها ، وظل جمال مع ذلك يواصل الكتابة اليها حتى حان موعد الاجازة السنوية ، وكان لا مناص من أن يخبره والده فى رفق بأن أمه قد ماتت !!

وتحمل الطفل الرجل الصدمة الكبرى فى حياته ، ولم يفتح فمه بكلمة واحدة ، بل اختفى تماما ، وظل مدة طويلة منطويا على نفسه •• يفكر فى حياته تفكير رجل ••

وهكذا انصهرت نفس جمال عبد الناصر ، وعرف أن الآلام تبعث الرجولة •

حدث بعد أن تألقت شخصية جمال أن عاد من فلسطين فى ٢٥ مايو سنة ١٩٤٩ باجازة لمدة شهر لزيارة أهله فوجد فى انتظـاره ضابطا من البوليس الحربى أبلغه أن رئيس هيئة أركان حرب الجيش (عثمان المهدى) يريده ، فذهب اليه ، واصطحبه هذا الى ديوان رياسة مجلس الوزراء حيث قابل ابراهيم عبد الهادى رئيس الوزراء الذى وجه اليه اتهاما قال انه عرفه عن طريق البوليس السياسى •

وقد واجه جمال رئيس الحكومة بشجاعة منقطعة النظير من ضابط برتبة صاغ الى صاحب دولة رئيس مجلس وزراء ••• وكان يرد عليه ردودا حاسمة مفحمة غاية فى الادب والحزم •••

ويقول جمال أنه كان يحمل فى حافظته ورقة صغيرة لو ضبطت معه فى ذلك اليوم لكانت تفقده كثيرا من الأرض التى يقف عليها ،

ولكنه تخلص منها ببساطة وتحدث مع رئيس الوزراء حديث رجل الى صاحب دولة !

وسمات الرجولة فى جمال عبد الناصر ليست فى قوته فحسب ، ولكنها واضحة أيضا بأفكاره وضميره واحساسه .

اقرأ له ما كتبه عن ذكرياته حين كان يعتقد ان الاغتيالات السياسية قد تخلص ألبلاد من الاستعباد والمذلة .

انه يقول :

- والحق اننى لم أكن فى أعماقى مستريحا الى تصور العنف على أنه العمل الايجابى الذى يتعين علينا أن ننقذ به مستقبل وطننا ..

كانت فى نفسى حيرة تمتزج بها عوامل متشابكة ، عوامل من الوطنية ومن الدين ، ومن الرحمة ومن القسوة ، ومن الايمان ومن الشك ، ومن العلم ومن الجهل ..

وأذكر ليلة حاسمة فى مجرى أفكارى وأحلامى فى هذا الاتجاه..

كنا قد أعددنا العدة للعمل .

واخترنا واحدا قلنا انه يجب أن يزول من الطريق .

ودرسنا ظروف حياة هذا الواحد ووضعنا الخطة بالتفاصيل .

وكانت الخطة أن نطلق الرصاص عليه وهو عائد الى بيته فى الليل .

ورتبنا فرقة الهجوم التى تتولى اطلاق النار ، ورتبنا فرقة الحراسة التى تحمى فرقة الهجوم ، ورتبنا فرقة تنظيم خطة الافلات الى النجاة بعد تنفيذ العملية بنجاح .

وجاءت الليلة الموعودة ، وخرجت بنفسى مع جماعات التنفيذ .

وسار كل شيء طبقا لما تصورناه ٠

* * *

كان المسرح خاليا كما توقعنا ، وكمنت الفرق فى أماكنها التى حددت لها ، وأقبل الواحد الذى كان يجب أن يزول ، وانطلق نحوه الرصاص ٠٠٠

وانسحبت فرقة التنفيذ ، وغطت انسحابها فرقة الحراسة ، وبدأت عملية الافلات الى النجاة ، وأدرت محرك سيارتى وانطلقت أغادر المسرح الذى شهد عملنا الايجابى الذى رتبناه ٠

وفجأة دوت فى سمعى أصوات صراخ وعويل ، وولولة امرأة ، ورعب طفل ، ثم استغاثة متصلة محمومة ٠

وكنت غارقا فى مجموعة من الانفعالات الثائرة ، والسيارة تندفع بى مسرعة ٠

ثم أدركت شيئا عجيبا ٠

كانت الأصوات ما زالت تمزق سمعي ٠

الصراخ والعويل والولولة والاستغاثة المحمومة ٠

لقد كنت بعدت عن المسرح بأكثر مما يمكن أن يسرى الصوت ، ومع ذلك بدأ ذلك كله كأنه يلاحقنى ويطاردنى ٠

ووصلت الى بيتى ، واستلقيت على فراشى ، وفى قلبى وضميرى غليان متصل ٠

وكانت أصوات الصراخ والعويل والولولة والاستغاثة ما زالت تطرق سمعى ٠

ولم أنم طول الليل ٠٠

* * *

بقيت مســـتلقيا على فراشى فى الظلام ، أشـــعل سيجارة وراء سيجارة ، وأسرح مع الخواطر الثائرة ، ثم تتبدد كل خواطرى على الاصوات التى تلاحقنى :

— أكنت على حق ؟

وأقول لنفسى فى يقين :

— دوافعى كانت من أجل وطنى !

— أكانت تلك هى الوسيلة التى لا مفر منها ؟

وأقول لنفسى فى شك :

— ماذا كان فى استطاعتنا أن نفعل ؟

— أيمكن حقا أن يتغير مستقبل بلدنا اذا خلصنا من هذا الواحـد أو من واحد غيره ، أم المسألة أعمق من هذا ؟

وأقول لنفسى فى حيرة :

— أكاد أحس أن المسألة أعمق :

— اننا نحلم بمجد أمة ، فما هو الاهم : أيمضى من يجب أن يمضى ، أم يجىء من يجب أن يجىء ؟

وأقول لنفسى واشعاعات من النور تتسرب بين الخواطر المزدحمة :

— بل المهم أن يجىء من يجب أن يجىء ... اننا نحلم بمجد أمة ، ويجب أن يبنى هذا المجد !

وأقول لنفسى وما زلت أتقلب فى فراشى فى الغرفة التى ملأها الدخان وتكاثفت فيها الانفعالات

— واذن ؟

وأسمع هاتفا يرد على :

ـ وإذن ماذا ؟

وأقول لنفسى فى يقين هذه المرة :

ـ اذن يجب أن يتغير طريقنا ••• ليس ذلك هو العمل الايجابى الذى يجب أن نتجه اليه •• المسألة أعمق جـــذورا وأكثر خطورة وأبعد أغوارا •

وأحس براحة نفسية صافية ، ولكن الصفاء ما يلبث أن تمزقه هو الآخر أصوات الصراخ والعويل والولولة والاســتغاثة ، تلك التى ما زالت اصداؤها ترن فى أعماقى •

ووجدت نفسى أقول فجأة :

ـ ليته لا يموت !

وكان عجيبا أن يطلع على الفجر وأنا أتمنى الحياة للواحد الذى تمنيت له الموت فى المساء !

وهرعت فى لهفة الى احدى صحف الصباح ••• وأسعدنى أن الرجل الذى دبرت اغتياله ••• قد كتبت له النجاة •

هذا الثائر يعود الى بيته فلا ينام حتى يطمئن فى الصباح الى أن هذا الذى أراد أن يخلص منه بلاده قد نجا من الموت !!

هذا الضمير الحساس يقدم اقداما لا تردد فيه حتى اذا ما أدرك أن ساعة الخطر قد أوشكت أن تنقض على عدو من أعداء الشعب ، فكر فى صرخة طفـــل •• وعويل امرأة •• ثم تمنى أن ينجو عدو الشعب من الموت !!

وعلى هدى هذه الفكرة ظلت رجولة عبد الناصر تستمد قوتها من الرحمة ، وتستلهم الاحساس المرهف ليبعث الى صاحبها انسانيـة كاملة دفعته أثناء حرب فلسطين الى مشاركة جنوده فى كل شىء ••

كان يشارك جنوده سجائره ، ويلاطفهم ويلعب معهم الكرة ، وكان يقول لمن معه ان هذا هو واجبه لأنهم أمانة فى عنقه •

وقد بنى جمال فلسفة حياته على أساس هذه الفكرة التى كونت رجولته ، وجعلته قويا مرهف الحس ، دقيق المشاعر ، وهو يقول انه جزء من المجموع ولهذا المجموع من الحقوق والواجبات ما له هو من حقوق وواجبات •

وما هى الرجولة الحقة ؟ انها هذا التصوير الموجز •• حقـوق وواجبات •• يجب أن تعرف حقك وتعرف واجبك فى نفس الوقت •

والرجولة الحقة أن تعترف بأنك كائن بشرى يخطىء ويصيب ، وفى هذا يقول جمال عبد الناصر :

– نحن بشر ، والبشر يختلفـون عن الملائكة ، وكل شخص له أخطاؤه وحسناته ، ولو دقق كل فرد فى نفسه لوجد هناك مزايا ، ووجد هناك عيوبا ، فاذا كانت هنـاك بعض العيوب التى تظهر أو تنعكس على بعض الأفراد ، فان المصلحة العليا توجب التغاضى وفى نفس الوقت يجب ألا يكون هذا سببا يستغل فى بث الحقد أو بث الكراهية ، ولكن يجب أن نحقق الأهداف الكبرى التى قامت الثورة من أجلها •

حدث فى احدى الأزمات السياسية العنيفة التى اتخذ فيهـا مجلس الثورة قرارات خاصة برياسة الجمهورية ، أن سكت جمال عبد الناصر ولم يقل شيئا ، وسئل فى ذلك الوقت وكان يوم ٢٦ مارس سنة ١٩٥٤ عن رأيه فى الاحداث •• فقال :

– لن أسمح لأى شخص أن يجرنى الى معـركة شخصية أنسى فيها الاهداف لأذكر شخصى ، أو أنسى فيها الاهداف وأخدع وطنى ، أو أنسى فيها الاهداف وأضلل مواطنى ، أو أنسى فيهـا الاهداف واستجدى هتافا

وقد قلت لك منذ البداية ان هذا الثائر يؤمن بأنه يعطى كل شيء للآخرين ولو على حسابه ، فقد كان فى وسعه أثناء هذه الازمة أن يظهر وأن يتكلم وأن يجد الملايين من حوله تهتف له •• ولكنه يذكر الاهداف •• ولا يذكر شخصه •

هذه الرجولة عرفتها ثورة ٢٣ يوليه ، وعرفت بها الشعب ،ودوى صداها فى العالمين •• وقد كتبت صحيفة (ذى نيشن) الامريكية مقالا بصدد هذه الحقيقة التى ظهرت من التفاف الشعب حول جمال عبد الناصر قالت فيه :

- انه لمن الامور الطبيعية أن يتطلع كل انسان ذى كرامة الى الديمقراطية الحقة ، ولكن عندما تصبح هذه الديمقراطية أداة فى أيدى السياسيين الفاسدين يستخدمونها في سبيل تحقيق مطامعهم الذاتية ، فانها لا تخرج عن كونها مهزلة من المهازل ، وهذا ما أظهرته المهزلة الاخيرة التى حدثت فى مصر (مهزلة مارس ١٩٥٤) فعندما شعر الشعب المصرى بأكمله بأن حفنة من مصاصى الدماء ستعود الى حكم مصر بعد انتهاء الحكم العسكرى فيها ، التف هذا الشعب حول جمال عبد الناصر •

تبلورت هذه الرجولة الفذة فى نفس جمال عبد الناصر، فلم يصبح زعيما أو قائدا أو سياسيا فحسب ، ولكنه أصبح هاديا للشعب ، يستمد من الشعب قوته وايمانه ، ويمد الشعب بقوته وأيمانه •

وهو يقول للشعب فى احدى خطبه :

- يجب أن تجمعنا المحبة وأن نتخلص من الحقد والحسد والبغضاء والضغينة فلن نستطيع أن نبنى مجتمعا قويا متينا اذا كانت فيه هذه الصفات •

ولذلك تتميز فكرة عبد الناصر عن الحياة والمسئولية والمصلحة

العامة بميزات الرجولة الكاملة ، وهو يقـــول ان كثيرين يجيئون ويقولون له :

ـ انك قد أغضبت بعض الناس ٠

وجوابه عليهم دائما هو ان غضب الناس ليس هو العامل الاساسى فى الموقف ، ولكن السؤال هو :

ـ هل الشيء الذى أغضبهم فىمصلحة الدولة أم فى غيرمصلحتها ؟

ويقول ان كثيرين توقعوا أن تنقلب الأوضاع فى مصر رأسا على عقب فى اليوم التالى للثورة ، ولكن يجب أن يعلم هؤلاء أن كل تغيير تلزمه مدة من الزمن ليسير فى طريقه الطبيعى ٠

ان مقياس الرجولة عند جمال عبد الناصر هو العمل من أجـــل الجميع لمصلحة الدولة ، ولذلك تذوب المصالح الشخصية والحاجات الوقتية من خيال جمال ، ويندفع دائما نحو خير الجميع لانه يؤمن كما قلت لك :

ـ بأن كل شيء للجميع ٠٠ ولو على حساب راحته وصحته ٠٠٠ حتى على حساب حياته كما حدث فى ميدان المنشية ليلة ٢٦ اكتوبر سنة ١٩٥٤ حين حاولت يد الغدر أن تمتد الى حياته ٠

الثائر..!

ان الثورة هى الشعب ، وعلى هـــذه
فان الثورة باقية ما بقى هذا الشعب .
« جمال عبد الناصر »

سأل مندوبو الصحف الرئيس الثائر جمال عبد الناصر :

ـ كم عاما أمضيتها فى التفكير لاجلاء القوات البريطانية عن مصر، والتدابير التى تكفل تحقيق هذه الغاية ؟

فأجاب الرئيس قائلا :

ـ ١٤ سنة !!

ومعنى ذلك أنه بدأ يعد ثورته حين كان فى الثانية والعشرين من عمره ، وحين كان ضابطا شابا فى جيش يقول هو عن كبار ضباطه أن أكثرهم أو جلهم يتمنون عودة الاستعمار للسيطرة على الجيش .. وكلهم مجردون من الاخلاق .

وقد ظلت مصر شهورا تسمي هذه الثورة .. حركة الجيش أو الانقلاب أو غير ذلك من أسماء ، وكان جمال عبد الناصر مختفيـــا لا يظهر للشعب ، بل يعمل مع زملائه الثوار فى هدوء لاقامة أسس الثورة .

وفهم الملايين أن الثورة لم تقم لخلع فاروق وتحطيم العرش ومحو الفوارق الهائلة بين الطبقات ولكنها قامت لبناء مصر من جديد .

كتب الصحفى الاسبانى (فرناندو كاميلا) مقـــالا فى صحيفة (سيكولو) تحدث فيه عن جمال فقال ان الرئيس جمال عبدالناصر هو الذى خلق مجلس الثورة ، ويعتبر باجماع مواطنيه فى مصر روح هذه الثورة وقلبها النابض ..

وطنى متعفف .. شديد النزاهة .. لا يبالى بنفع شخصى ،وهى صفات لم يتمكن ألد أعدائه من أن ينالوا منه فيها .

ووصف وليام كلارك المراسل الدبلوماسى لصـــحيفة الاوبزرفر البريطانية جمال عبد الناصر فقال انه شاب طموح ومصلح كبير ، وقد شعرت بأن هناك بعض الشبه بين الصفات التى تميز شخصية عبد الناصر وبين أوليفر كروموبل زعيم الثورة البريطانيـــة التى خلعت الملك شارل الاول وأعدمته بالمقصلة عام ١٦٥٣

هذه الصفات التى يتحدث عنها الاجانب ويعرفها المصريون ،هى صفات الثائر جمال عبد الناصر ، وقد حدثتك من قبل عن جمـــال منذ طفولته حتى شبابه ، فكان مثالا للثورى الجسور الذى لا يهدأ، ولست أريد العودة الى حياة جمال الثائر ، ولكننى أريد أن أطلعك أيها المواطن على ما تعرفه عنه وما أعرفه أنا عنه وما يعرفه الملايين من المصريين عن ثورته ..

وليس هذا الحديث تكرارا أو رغبة فى اظهار براعة لفظية ، ولكنه استمرار للدفعة القوية التى أملت كل حرفمن حروف هذا الكتاب.

نعم .. هذا الحديث استمرار لثورة التقت مع الثائر جمال عبـــد الناصر ، وكان لا بد أن تلتقى ... وكان لا بد لها أن تتكلم بصوت جمال عبد الناصر .

انه يقول فى احدى خطبه الثورية :

ـ ان هذه الثورة أخذت طريقها عمليا منذ بدأنا التفـكير فيها ، وقد قامت الثورة ورتبت فى جو من الفساد والرشوة ، وفى وقت يصعب أن تقوم فيه ثورة ، ولقد كانوا يغزون كل الطوائف بالمـــال وبالرشوة ولكننا نحن رجال الجيش كنا نفكر فيكم ، وكنا نقارن دائما بين السيرمع الشعب وفقراء الشعب، والسير مع الشرفاء المزعومين. فآثرنا أن نسير مع الشعب فى سبيل أهداف الشـــعب .. لرفع مستوى الشعب .

ويلخص جمال عبد الناصر ثورته تلخيصا مقنعا لا مداورة فيه ولا لف ، ولا تلاعب بلفظ أو ضحك على جماهير •

انه يقول انها ثورة سياسية واجتماعية معا ، وفى ١٨ مايو سنة ١٩٥٤ خطب فى أهل أبنوب الذين اجتمعوا ليكرموه فقال لهم :

— انى أؤكد اننا نستعد منذ قيام الثورة لخوض المعركة الكبرى ضد الاستعمار حتى نحقق الكرامة التى يشعر بها الشعب لمصر •

واننا فى نفس الوقت نقيم فى هذا الوطن ثورة اجتماعية لتحقيق العدالة بين المواطنين ، ونحاول أن نقضى على الاقطاع والاحتكار ••

هذه الصورة الواضحة للثورة ، هى التى أريد أن أقف عندها طويلا ، وقد وقف عندها جمال عبد الناصر فى كتابه « فلسفة الثورة » فقال :

(هل كان يجب أن نقوم ، نحن الجيش ، بالذى قمنا به فى ٢٣ يوليه سنة ١٩٥٢ ؟)

لقد قلت منذ سطور ، ان ثورة ٢٣ يوليه كانت تحقيقا لأمل كبير راود شعب مصر ، منذ بدأ فى العصر الحديث يفكر فى أن يكون حكمه بأيدى أبنائه ، وفى أن تكون له هو الكلمة العليا فى مصيره ••

واذا كان الأمر كذلك ، ولم يكن الذى حدث يوم ٢٣ يوليه تمردا عسكريا ، وليس ثورة شعبية ، فلماذا قدر للجيش ، دون غيره من القوى ، أن يحقق هذه الثورة ؟

ولقد آمنت بالجندية طول عمرى ، والجندية تجعل للجيش واجبا واحدا ، هو أن يموت على حدود وطنه ، فلماذا وجد جيشنا نفسه مضطرا للعمل فى عاصمة الوطن ، وليس على حدوده ؟

ومرة أخرى ، دعونى أنبه الى أن الهزيمة فى فلسطين ،والاسلحة

الفاسدة ، وأزمة نادى الضباط — لم تكن المنابع الحقيقية التى تدفق منها السيل ، لقد كانت هذه كلها عوامل مساعدة على سرعة التدفق، ولكنها — كما سبق ان قلت — لا يمكن أبدا أن تكون هى الأصل والأساس .

واذن فلماذا وقع على الجيش هذا الواجب ؟

قلت ان هذا السؤال طالما ألح على خواطرى ...

ألح عليها ونحن فى دور الامل والتفكير والتدبير قبل ٢٣ يوليه.

ألح عليها فى مراحل كثيرة من التجربة بعد ٢٣ يوليه .

ولقد كانت أمامنا مبررات مختلفة قبل ٢٣ يوليه تشرح لنا : لماذا يجب أن نقوم بالذى قمنا به ...

كنا نقول : اذا لم يقم الجيش بهذا العمل فمن يقوم به ؟

وكنا نقول : كنا نحن الشبح الذى يؤرق به الطاغية أحلام الشعب ، وقد آن لهذا الشبح أن يتحول الى الطاغية فيبدد أحلامه هو ...

وكنا نقول غير هذا كثيرا ، ولكن الأهم من كل ما كنا نقوله ، أننا كنا نشعر شعورا يمتد الى أعماق وجودنا بأن هذا الواجب واجبنا، وأننا اذا لم نقم به فاننا نكون قد تخلينا عن أمانة مقدسة نيط بنا حملها .

ولكنى أعترف أن الصورة الكاملة لم تتضح فى خيالى الا بعد فترة طويلة من التجربة عقب ٢٣ يوليه

وكانت تفاصيل هذه التجربة ، هى بعينها تفاصيل الصورة .

كتب مراسل الايكونومست فى القاهرة مقالا عن جمال عبدالناصر قال فيه :

« انه لا شك فى أن الشعب فى نظر الرئيس عبد الناصر هوفكرة أقرب الى الحقيقة من ذلك الكائن المعنوى المسمى (الدولة) ولكن خدمة الشعب أشق من خدمة الدولة » •

وهذا الفهم الذى فهمه مراسل الجريدة البريطانية هو جوهر هذه الثورة ، وهو حقيقة الشعور الثورى الذى يستولى على ضمير جمال عبد الناصر •

فان الثائر لا يهمه الا خدمة الشعب ، وما كانت هذه الثورة لتنجح الا لأنها ثورة الشعب ، وما كان لعبد الناصر أن يصل الى الزعامة الحقيقية الا لأنه رجل من الشعب •

بل ان هذا الشعور الحقيقى يدفع عبد الناصر الى مصارحة الشعب بما لم يصارحه به زعيم ثورى من قبل •••

انه يقول فى صراحة جريئة :

ـ فليكن كل مواطن فيكم قيما على هذه الثورة ، ولن يتمكن جمال عبد الناصر من المحافظة على الثورة اذا خدعتم ، ولكنكم أنتم الذين تتمكنون من المحافظة عليها ، فأنتم المسئولون عن هذه الثورة التى قامت من أجلكم وباسمكم •

ومعنى ذلك ان جمال عبد الناصر يريد لهذا الشعب حياة ثورة متصلة لا تعرف الخنوع والاستسلام والاستكانة ، ويطلب من هذا الشعب ان يجعل من نفسه قيما على الثورة ليحافظ على الثورة • وتلك هى غاية ما يمكن أن يؤمن به ثورى متطرف يريد حقا أن يصل بالثورة الى غايتها ، ويصل بها الى تحقيق أهدافها •

ولا يكف جمال عبد الناصر عن دعوته الواضحة الجريئة بل يقول للشعب :

ـ كان الجيش يعتبر أداة تستخدم ضد الشعب ، واننا كنا نشعر

يكم وبالامكم قبل أن ندخل الجيش فاذا قلنــا ان الثورة لا تعتبر ثورة الجيش أو ضباط الجيش فنحن لا نجامل ولا نخادع ٠٠ ولكننا نقول الحق ٠

ألم كيف يقف الثائر الاول وقفته الواضحة عند حقائق الثورة ؟ انها ثورة الشعب كله ٠٠٠ ثورة الملايين ٠٠ ثورة الفلاحين والعمال والطلبة والموظفين والتجار ٠٠٠ ثورة كل من أظلته سماء مصر ٠

هكذا يعرف الثائر هذه الثورة ، وهكذا يريد أن يعرفها الناس ٠

لقد كتب الثائر جمال عبد الناصر آراءه في « فلســفة الثورة » ونشرها فى كتاب ، وانتشر هذا الكتاب فى أرجاء الارض وترجم الى لغات عدة ، وتحدثت عنه الاذاعات والصحف فى كل مكان ٠

تحدثت الاذاعة الهــولندية عن كتاب « فلســفة الثورة » حديثا طويلا فى مساء ١٩ يونيه سنة ١٩٥٤ قالت فيه :

« ويمتاز هذا الكتاب بصراحة مدهشة لعلها صراحة مؤلمة ، فهــو ناقش فيه موضوعات ونواح خطيرة بصراحة مطلقــة ، وأدلى برأيه قاطعا واضحا ٠

وسيظل هذا الكتاب دائما مرجعا هاما من المراجع التى يلجأ اليها من يكتبون عن الثورة وعن الشعب وعن الجمهورية » ٠

وتحدثت الصحف الايطالية عن كتاب « فلسفة الثورة » فكتبت احداها تقول :

« ان الرئيس جمال عبد الناصر رئيس الحكومة المصرية والعقــل المنظم لحكومة الثورة التى تقرر مصير وادى النيل قد ركز فى نثر موجز مباشر ، وفى كتاب واضح ، ماضى وحاضر ومستقبل الثورة الوطنية التى احتفل بمرور عامين عليها فى ٢٣ يوليه ١٩٥٤ » ٠

وأشارت الصحيفة الى أن عبد الناصر تحدث عن الصعوبات الهائلة التى تصاحب نهضة الشعب المصرى الذى يجب أن يقوم بثورتين فى آن واحد .. ثورة اجتماعية ، وثورة سياسية . ومضت الصحيفة الايطالية تقول ان هذه الصفحات التى كتبها جمال عبد الناصر تفتح بابا كبيرا أمام مصر .

هذا الكتاب نبع من قلب ثائر ، وكتبه قلم ثائر ، فلم يهتم بما يهتم به أصحاب السياسة أحيانا من محاولة البعد عن الحقائق والاغراق فى التلاعب باللفظ ، لأن هذه الثورة — كما يقول جمال — ما قامت الا لتحقيق العزة القومية فى هذا البلد ، وهى ان تشعر بأن الحاكم أخ لك فى الدم والعواطف والمشاعر لا سيد لك .

ان جمال عبد الناصر رئيس الحكومة هو نفسه جمال عبد الناصر الثائر من أجل الشعب ، وقد كان يتحدث الى الشعب فى الاحتفال الثانى بعيد الثورة مساء ٢٢ يوليه ١٩٥٤ فقال وهو يعلم أن الدنيا كلها تحصى عليه كل كلمة يقولها :

« ما أحقنا بأن نحتفل بعيد صنعه كل فرد فينا ، صنعه الفلاح والعامل بعملهما الطويل فى الحقل والمصنع ، دون جزاء عادل أو ثواب ، وصنعه الطلاب والشباب الذين استشهدوا فى ثوراتنا فى القرن التاسع عشر ، وفى ثورة ١٩١٩ ، وفى ثورة سنة ١٩٣٥ ، صنعه أبطالنا المغاوير الذين بذلوا المهج والأرواح فى فلسطين ، صنعه اخواننا السودانيون الذين ماتوا ميتة الشرف والفخار سنة ١٩٢٤ ، فلولا هذه التضحيات ، ولولا تعاون الاجيال جيلا بعد جيل ، لما كان الفخر الذى طلع علينا بنوره فى ٢٣ يوليه .

نعم ، ما أحقنا بأن نحتفل بعيد ٢٣ يوليه ، ونحن الذين فرض علينا الطغاة والمستبدون أعيادا ، لا تمت الينا ، ولا تحرك عاطفة فى وجداننا ، لانها أعياد انتصارهم علينا ، واذلالهم لنا ، واسترقاقهم

لفلاحينا وعمالنا ، ولذلك كانت هذه الاعياد حزينة كئيبة ، حتى أصبح العيد عندنا عنوانا على الألم ، ومثارا للحزن ٠

أما اليوم ، فالعيد هو مصدر سعادتنا ، نتبادل فيه التهـــانى والتحيات ، نشعر فى ظله بشعور الاخوة القوية ، والوحدةالوطنية، ويقول كنا منا لأخيه : أخى : لنجعل حياتنا أعيادا ولنقف متراصين، حتى لا يغلبنا الماضى فيسترد ما أخذناه ، ويستعيد ما كسبناه » ٠

وقد لخصت جريدة نيويورك تيمس خصائص جمال عبد الناصر فى مقال كتبه (روبرت دوتى) كبير مراسليها فى الشرق الاوسط ، الذى أجمل الصفات الثورية للزعيم المصرى فى كلمات قليلة هى :

« ان كثيرا من الصفات يجعل جمال عبد النـــاصر بمعزل عن الزعيم السياسى العادى كما تعرفه دول الشرق الاوسط ، فلم يمسه هو ، أو أى شخص ممن يتعاونون معه تعاونا وثيقا أى شىء يشــين السمعة ماليا أو شخصيا ، كما أن بياناته العامة قد خلت من الكثير من الطنطنة التى تعد من مميزات الخطب السياســـية فى الشرق الاوسط ، وأهم صفاته التى تعد خروجا على المألوف هى واقعيتــه العنيدة فى نظرته الى المسائل السياسية والاجتماعية » ٠

وانى لأحب أن أقدم للقارىء أول تصريح سياسى للثائر جمال عبد الناصر ، فقد صرح لجـــريدة نيويورك هيرالد تريبون بكلمات قصيرة نشرت يوم ٢٩ ديسمبر ١٩٥٢ ، وهزت أرجاء الارض ٠

انه يقول فى قوة ثورية هائلة :

« اننا على أتم استعداد لأن نكون معقولين ، ولكن الانجليز مثلا قد وعدونا طيلة السبعين عاما الماضية بأن يخرجوا من منطقة قنال السويس ولم يخرجوا، ان مصر لا تســتطيع اليوم أن تطيق مزيدا من المماطلة والتسويف ، واذا شعرت حكومة العهد الجديد بعد هذه

الجهود المتصلة التى نبذلها ، بأننا لم نصل الى تخليص بلادنا من الاحتلال البريطانى ، فثقوا ان قواد الثورة سوف ينسحبون من الحكومة ليستعدوا لقيادة الشعب فى حرب ضد الانجليز . ولن تكون هذه الحرب رسمية وانما ستكون حربا فدائية ، سوف تكون حرب عصابات . سوف تلقى القنابل اليدوية فى جنح الظلام . سوف يغتال الجنود الانجليز فى الشوارع . سوف تنتشر أعمال الفدائيين بطريقة تشعر الانجليز أنهم يدفعون ثمنا غاليا لاحتلال بلادنا ! وعلى أسوأ الحالات سيكون كفاحنا أشبه بقصة شمشون التى روتها التوراه . سوف نحطم المعبد على رءوسنا ليصيب رءوس أعدائنا القائمين بيننا أيضا .

ولست أخفى عليك أن الصحافة المصرية ذهلت أمام هذا التصريح الجرىء الذى لم تعرفه من حكام مصر قبل ٢٣ يوليه ١٩٥٢ .. فسارع الصحفيون الى جمال عبد الناصر يسألونه عن حقيقة هذا التصريح الخطير فقال لهم والابتسامة على شفتيه ..ان تصريحه لتلك الجريدة يصح أن يذاع فى فبراير كما يصح لشهر مارس .. وانه أدلى بهذا التصريح لا ليرسم سياسة العهد الحاضر فى نوفمبر ولكن ليرسم سياسة ذلك العهد فى المستقبل .

على هدى هذه الفكرة الثورية سار جمال عبد الناصر منذ فجر حياته حتى اليوم .. وسوف يسير دائما على هديها .. لسبب واحد هو انه رجل ثائر يؤمن بأن الثورة هى الوسيلة لبلوغ الحرية والكرامة والعزة ...

من الشعب للشعب

ان قوة هذا الشعب استمرت صامدة للذل والاســـتعباد ، واستمرت صامدة للاستغلال والاستبداد .. استمرت طوال هذه السنين ، وهى قوة كامنة لانها من خصائص هذا الشعب .
هذه القوة لا يمكن أن تخبو ، ولا يمكن أن تنتهى ، لانها قوة شعب أصيل .
« جمال عبد الناصر »

سئل جمال عبد الناصر مرة عن مثله الأعلى فقال :

ـ ان من الصعوبة التعبير عن المثل العليا بدقة ، وخاصة اذا كانت معنوية ، وانى أعتقد ان خير مثل عليا أحاول دائما ان أجعلها نصب عينى هى ان يحس المرء بشعور الآخرين ، يحس بشعور الضعيف وشعور القوى ، يحس بشعور الفقير وشعور الغنى ، متلمسا حقيقة احساسات كل هؤلاء ، وبهذه الصور يمكنه تحقيق العدالة تحقيقا تاما .

هذه الكلمات القليلة ترسل صورة واضحة لشخصية عبدالناصر فى مثله العليا التى يستمدها من احساسات الآخرين ، فهو كرجل من الشعب يجعل مثله الاعلى من هذا الشعب .. من الناس جميعا .. من مشاعرهم واحساسهم وعواطفهم ، ولا يستقل بشخصيته بعيدا عن الجماهير ، وشأن كثيرين من الزعماء الذين آثروا الانفصال عن حياة الجماهير معناه فقدان النفس ، والبعد عن الزعامة الحقيقية التى تستمد قوتها من قوة الشعب .

وقد عبر جمال عبد الناصر عن حقائق نفسه ، وعن مشـــــاعره

الشعبية الاصيلة ، وعن ادراكه الواعى لقوى الشعب فى مقال له نشر بمجلة المصور جعل عنوانه :

من نحن .. وماذا نريد ؟

من نحن ؟!

هذا شىء لا يكاد يجهله من الناس أحد .. فنحن قطعة من صميم هذا الشعب .. تحمل صدورنا كل آلامه ، وكل أمانيه ، وتعيش فينا كل صفاته الطيبة .

ولم تكن ثكنات الجيش التى قضينا فيها شطرا من عمرنا لتحجب صورة هذا الشعب الابى عن أعيننا ، أو تبعدها عن أحاسيسنا .. فلقد كنا نرى هذه الصورة فى كل لحظة ، فى وجه أولئك الجنــود الشجعان الذين امتلأت الثكنات بهم . .كنا نرى فى وجه هؤلاء الجنود صورة الشعب كاملة : ببأسه ، وبؤسه ، وصبره ، وقدرته المذهلة على احتمال الشدائد ، والمكاره ، والآلام . وحينما كنا نغادر ثكناتنا الى بيوتنا ، لنستريح لحظة من آلام حملناها ، لم تكن صورة الشعب تغيب عن أعيننا ... كنا نراها فى وجوهنا حين نقف أمام المرآة لحظة .. وكنا نسمع الشكوى من الضيم ، ومن الهوان ، اللذين أنزلهما الطغاة بالشعب الذى نحن قطعة منه تصك آذاننا ، وتحملنا أمام أنفسنا مسئولية الاقدام على عمل عظيم ينقذ الشعب .

ولم تكن (البدلة الكاكى) التى نرتديها بقادرة على أن تحــول بيننا وبين ذلك العمل العظيم ، فليست هى الا مجرد رداء اختارته الظروف لنا ، كما اختارت للعامل بدلته الزرقاء ، وكما اختارت للفلاح (جلابيته) الزرقاء أيضا ! وربما تفرق هذه الازياء المختلفة بيننا ، ولكنها تفرقة لا تعدو المظهر ، لا تعدو ذلك الرداء الذى يغطى أجسامنا .. أما نفوسنا ، أما مشــاعرنا ، أما أرواحنا ، أما آلامنا

وآمالنا ، فكلها واحدة ٠٠ كلها معنا نبتت حين نبتنا جميعا من هذه الارض الطيبة ، وكلها معنا ترعرعت حين ترعرعنا جميعا فوقها ، وكلها معنا توحدت ، حين وحدت بيننا مياه النيل الخالد التي ندين بالحياة له ٠

ولقد كنا — نحن رجال الجيش — نعيش فى بحبوحة من العيش ٠٠ كان الطغاة يحاولون أن يشتروا سكوتنا بالترقيات يغدقونها علينا ، وبالاموال يبذلونها لنا ٠ ٠ولقد كان من الممكن لاولئك الطغـاة أن ينجحوا فيما أرادوا ، لو لم تكن قطعة من صميم هذا الشعب أذهلتنا آلامه عن ترقياتنا ، وأنسانا ذله ما نحن فيه من سعة العيش ورخاء الحياة !

ولكن الطغاة لم ينجحوا رغم كل ما بذلوه لنا ، وكل ما أغـدقوه علينا ٠٠٠ فلقد كان صراخ الشعب يدوى فى أعماقنا بما لايجعل للطغاة سبيلا للتأثير علينا ٠٠ وبقينا سنين طويلة ونحن نحمل هموم الشعب ٠٠ ونجتر آلامه ٠٠ أقصد آلام أنفسنا ، وآبائنا ، وأمهاتنا ، وذوينا ٠٠ حتى اذا كان اليوم الثالث والعشرون من يوليه الماضى ، خرجنا لنغامر بكل ما نحن فيه من بحبوحة العيش ، ولنغامر أيضـا بالحياة نفسها ، ولقد كانت دائما — أعنى الحياة — أتفه من أن تعوق تقدمنا ، أو تغلق على ثورتنا منافذ الانطلاق ٠

وكان الله معنا ، فنجحنا ، وبقيت لنا الحياة !

لقد عرفت الآن — وما أظنك كنت تجهل — من نحن ٠٠ وبقى أن تعرف :

ماذا نريد ٠٠؟

وما نريده موجود فى بواعث ثورتنا ٠٠ وبواعث ثورتنا لا يمكن أن تكون قد نسيت !!

انها ذلك الضيم الذى كان الشعب يشرب كأسه حتى الثمالة صباح مساء على أيدى فئة من أعدائه والدخلاء عليه !

وانها ذلك الفقر الاسود الذى اجتاح أغلبية الشعب بغلظة لا ترحم ، لحساب فئة من المترفين لم يتقنوا فى الحياة شيئا كما أتقنوا امتصاص الدماء !

وانها ذلك الخوف المقوت الذى سيطر على الناس الى الحد الذى جعلهم يكادون يخشون التحدث حتى الى أنفسهم ، لكيلا تلمحهم من عيون الطغاة عين ، أو تسمعهم من آذانهم أذن !

وانها ذلك الضعف أو الاستضعاف الذى طوى الشعب طيا ، وجعله لا يكاد يصدق تاريخه القديم ، ولا يكاد يثق بحاضره ، ولا يكاد يكون فى مستقبله أمل معروف !

من أجل هذا كله كانت ثورتنا ، وبات مفهوما اننا لم نرد بها الا القضاء على كل هذا ! ولقد بدأنا فألقينا بالملك الغشوم الى عرض البحر ·· اذ كان ملكا يمثل فى نظر الشعب كل المعانى التى يمقتها ، وكل الاخطار التى يخشاها ، وكل المفاسد التى يحاول ان ينجو بنفسه منها !

ولقد كان هناك من يحبذ الخلاص من حياة ذلك الملك ·· ولكن ثورتنا كانت ، ولا تزال وستظل بيضاء طيبة ، أبت على نفسها هذا ·· أبت أن تريق قطرة واحدة من الدماء حتي ولو كانت دماء غادر يبيحها الثأر لكرامة الوطن !

وكان هذا العمل الأول هو حجر الزاوية فى كل ما نريد ·· فنحن نريد أن نكون شعبا محررا من الخوف ·· شعبا يسود نفسه بنفسه ·

ونريد أن نكون شعبا محررا من الفقر والعوز ، لا يستذل

الاقطاعيون كرامته، ولا يتحكم السفهاء في عنقه، ولا يكيفون مصيره حسب ما تشاء لهم الاطماع الحقيرة ، والهوى البغيض !

ونحن نريد أن نكون شعبا حرا قويا يملك فى يده زمام أمره ، فلا يعبث بهذا الزمام محتل ، ولا يشارك فى ادارته دخيل !٠٠

ولم يكن هذا كله ، ولا شيء منه ، يمكن أن يتحقق ، وهذا الملك، رأس الحرية — حرية الفساد أعنى — باق فى مكانه ٠٠ ومن هنا بدأنا به ، ولسوف نثنى بالاستعمار ٠٠ أما ما يقع فى الطريق ، بين ذلك الملك والمستعمرين أسناده ، فليس الا صفحات صغيرة فى كتاب الفساد الاسود وقد مزقنا — بحمد الله — الغلاف الاول لذلك الكتاب — أعنى الملك — ولسوف نمزق الغلاف الثانى عما قريب ، وبعد ذلك لا تستطيع أوراق الفساد — بعد نزع الغلافين والدبابيس التى تربط بعضهما ببعض الا أن تتهاوى واحدة فى أثر أخرى !

نحن نريد هذا باخلاص ، وبعزم ، ويقين ٠٠ ولا نشك لحظة فى اننا واصلون الى ما نريد ٠٠ فلقد قالوا قديما : (على قدر أهل العزم تأتى العزائم) وان لنا من عزيمتنا — نحن الشعب — ما يجعلنا نثق فى اننا ، أو فى القليل ، أولادنا سيمتعون بحياة حرة كريمة ، قوامها اعتزاز الفرد بنفسه ، واعتزازه بعيشه ، واعتزازه بالوطن الذى ينتسب اليه ٠

ولكن ٠٠ أليس دون ذلك صعاب ؟!

نعم ٠٠ وألف نعم ٠٠ هناك مئات من الصعاب يغرسها فى طريقنا أولئك الذين يكرهون لنا أن نمتع بشيء من هذا الذى نريده !

وهناك مئات من الصعاب يغرسها فى طريقنا أولئك المستعمرون الذين يخشون لحظة ننقض فيها عليهم ، ونصفى حسابنا معهم !!

وهناك مئات من الصعاب يغرسها فى طريقنا أولئك الذين اعتادوا

من العيش رخاءه ، ولم يعرفوا من التضحية حتى ولا قشورها ، ولم يعد يهمهم الا أن تفرش لهم الارض ببساط وردى ، وتمتلىء بطونهم حتى تختنق منهم الانفاس !

ولكنا ــ وما ماضينا ببعيد ــ غالبنا قبل هذه المصاعب ، مصاعب أخرى خطيرة فغلبناها وصارعنا قوى الظلم فصرعناها ، وهذا ما يجعلنا نثق ــ دون أن يكون فى ذلك جنوح الى الغرور أو ميل مع الزهو ــ بأننا سنقهر ما جد وكل ما يجد من مصاعب ، وأننا سنمضى فى طريقنا قدما الى تحقيق ما نريد ، وأننا سنحققه عن آخره بعون الله الذى كان معنا فى ماضينا ، والذى نثق بأنه لا يزال معنا ، وبأنه سيظل معنا ، لاننا نحن لن نتخلى عنه ، ولن نتخلى عن قيم رسمها لنا ، وكنا بها من أشد المؤمنين •

ان الشعب هو كل شىء عند جمال عبد الناصر ، وهو القوة التى يعتمد عليها لبلوغ أهدافه ، وغاية ما يريده من الشعب أن يعمل من أجل مصر لا أن يهتف ويضيع جهده فى المظاهر الجوفاء •

ويقول جمال فى احدى خطبه موضحا الهدف الأكبر للثورة :

« لم يكن هدف الثورة هو خروج الانجليز من مصر ، فان خروج الانجليز وانهاء الاحتلال ، ما هو الا وسيلة لبناء مصر القوية ، ولهذا لم نقل حينما وقعنا هذا الاتفاق اننا حققنا كل الآمال ، وانما هدفنا تحقيق العدالة الاجتماعية والثروة التى تكفى جميع أفراد الوطن وتضمن لهم حياة كريمة » •

ولست أريد بهذا أن أدخل بك ميدان السياسة ، لأننا لا زلنا نتحدث عن الشعب كما يريد له جمال عبد الناصر أن يعيش •

ان العدالة الاجتماعية هى أساس الفكرة الشعبية عند جمال عبد الناصر ، وهو يفسر هذه الفكرة تفسيرا واضحا مقارنا حين يبين أن الفارق بين مصر قبل الثورة وبعدها هو الفارق بين أرض يحكمها

ويسيطر عليها قلة من السادة يسخرون الناس لمصالحهم الخاصة ، وأرض كل سكانها متساوون فى الحقوق وفى الفرص ٠

كانت مصر قبل الثورة دولة ملكية مطلقة ، واقطاعا واستغلالا للفقراء وللطبقة العاملة ٠٠ دولة فساد يسودها الركود التام فى كل أعمالها ٠

كانت مصر فى يد قلة لا يهمها أمر مصر ، بل كان هم هؤلاءالاول مستقبلهم الشخصى وثرواتهم الشخصية ٠

أما اليوم فقد استأصلنا الاقطاع السياسى والزراعى ، وألغينـا تسخير الطبقة العاملة واستغلالها ٠٠ طبقة الفلاحين والعمال التى كانت تعمل لمصلحة الملوك السابقين والساسة المحترفين ٠

كانت هناك هوة واسعة بين الطبقات أدت الى حالة مستمرة من القلق والاضطراب ٠

والآن وبعد أن نظمت العلاقات بين مالك الارض والزراع وبين أصحاب الاعمال والعمال ، أصبحت العلاقة بين الطبقات تقوم على أساس التعاون فى رفع مستوى الانتاج لخير الجميع ، لا لصالحقلة، وقد أدى ذلك الى خلق حالة من الاستقرار والامن والثقة ٠

على هذا الاساس تقوم الفكرة الشعبية عند جمال عبد الناصر ، وتقوم العدالة الاجتماعية التى مهدتلها الثورة بتشريعاتها التاريخية التى حطمت الاقطاع ٠٠

ولكن ٠٠!!

هل يكفى أن يعمل القادة وحـــدهم لتخليص الشعب من مظالم الماضى ؟ هل يكفى أن تحرر الفلاحين ، وأن تعطى الحقوق للعمال ؟

كلا ٠٠ بل يجب أن يعمل الشعب من أجل الثورة ٠

يقول جمال عبد الناصر للشعب :

ـ سوف أتكلم بصراحة ، فاعملوا على أن يكون عملكم من أجل هذه الثورة وأهدافها وتفهمكم لمبادئها لتنقلوها صورة للآخرين من اخوانكم ..

هذه هى النواحى المفيدة لمصلحة الوطن ، ومصلحة أبنائه ،وهذا هو العمل الرئيسى الذى يجب أن تعتنقوه ، لأن الهتاف والوفود لا تجدى بقدر ما ستحققونه أنتم بالعمل المجدي لهذه الثورة ...

هذا التبادل الشعورى بين الحاكم والمحكوم .. بين القائد والشعب، هو أهم الأهداف التى يرمى جمال عبد الناصر الى تأصيلها فى نفوس الملايين ، لانه يؤمن بأن الذى يحكم البلاد فرد منا يشعر باحساسنا ويشعر بآلامنا .

وأنت حين تنصر الثورة تنصر نفسك ، وتنصر جمال عبد الناصر، فقد قام جمال عبد الناصر من أجلك ومن أجل آمالك .

كان جمال عبد الناصر يتحدث الى بعض الوفود فقال فى صوت عميق مؤمن :

« أعاهدكم عهدا أكيدا اننا سنسير في طريقنا لا يغرنا مال ولا جاه .. نعمل فى سبيل المبادىء والمثل العليا لكم ومن أجلكم فقط ».

لماذا عاهد جمال عبد الناصر الشعب على أن يظل فقيرا ؟ لماذا لم ينل حظه من المتعة كما فعل الحكام جميعا ؟

ليست المسألة مبادىء وأهدافا ومثلا عليا فحسب ، ولكنها شيء آخر ينبع من قلب هذا الشعب .

استمع الى جمال يقول :

« أنا أفخر دائما بأني واحد من أهل بنى مر وأفخر أكثر وأكثر بأني واحد من عائلة فقيرة نشأت فى بنى مر .

وأنا أقول لكم هذا الآن لأسجل .. أسجل أنا جمال عبدالناصر اننى نشأت من عائلة فقيرة .. وأعاهدكم فى نفس الوقت على أن جمال عبد الناصر الذى نشأ من عائلة فقيرة سيظل فقيرا فى هذا الوطن حتى الموت » .

هذه الكلمات القصيرة تعيد الينا تاريخ الماضى كله .. تاريخ الحكام الذين حكموا الشعب .

كلهم أثروا على حساب الشعب .. كلهم سكنوا القصور على حساب الشعب .. كلهم قالوا أن من حقهم أن يترفوا وأن يعيشوا عيشة الملوك الطغاة على حساب الشعب .

وماذا قال الشعب ؟ كنا جميعا نقول أنه من حق الحكام أن يعيشوا عيشة المترفين على حساب الشعب ..

ولكن جمال عبد الناصر فرد منا نحن الجماهير .. وهو يؤمن بأن الفرد هو الحاكم .. وأن الحاكم هو الفرد ..

انه يقول لنا :

.. اننا نحفظ للفرد قيمته ، ونقدره تقديرا كبيرا اذ أنه يستطيع اذا ما تعاون مع أخيه أن يصل بالمجتمع الى نهاية سعيدة تمكن الفرد من السعادة وتمكن أخاه من أن يكون سعيدا أيضا . اننا نؤمن بالفرد ونطالبه بأن يتعاون مع الافراد فى عاطفة تدفعه الى العمل ، وهذه العاطفة أما أن تدفعه الى الخير وأما الى الشر ، ونحن ندعو الى الخير والى المحبة ، فاذا كانت المحبة والخير هما سبيل التعاون بين الفرد وأخيه فستصل طبعا الى نتيجة سامية بالمجتمع كله يحيطها

الخير والمحبة . فقد مضى علينا الزمن الذى كانت تتنازعنا فيه عوامل البغض والكراهية ، ومضى عهد الاستبداد والطغيان فى وقت أهدرت فيه حقوق الفرد وانسانيته وأتى عهد النور والاصلاح فى القرية والمدينة وجميع نواحى المجتمع .

اننا نؤمن بالفرد ونريد منه أن يؤمن بنفسه ، وبذلك تصل البلاد الى أقصى ما تريده وتتمناه .

اننا نؤمن بالفرد ونطالب كل فرد بأن يتعاون معنا على أن يعمل كل انسان فى هذا البلد فى المحيط الخاص به ، ولا يكفى أن يبقى قابعا فى داره ويترك العمل للآخرين . ولا يستطيع عشرة من الافراد أن يعملوا كل شىء بينما ينتظر باقى الافراد .

كل فرد يستطيع أن يدفع من يحيط به الى أن يعمل ، بحيث يتأثر البلد جميعه ، هذا هو الهدف الذى نؤمن به ، ويجب على الفرد أن يؤمن بنفسه فيؤمن الوطن به أيضا .

لكل واحد منا رسالة يمكن أن يقوم به فى هذا الكون مهما يكن الانسان كبيرا أو صغيرا ، وربما يستطيع الانسان الذى نقلل من شأنه أن يغير تاريخ المحيط ، ولا يوجد انسان تافه فى هذا الكون فكل واحد له قيمته .

هناك طريقان : الشر أو الخير ..

واذا كنا نريد أن نصل الى نهاية سعيدة فيجب أن نتجه الى الخير ونبنى اصلاحنا ورسالتنا على المحبة والود .

وجمال عبد الناصر لا يفكر فى مشكلة الفرد تفكيرا انفصاليا يبعده عن المجتمع ، ولا يريد للفرد أن يعمل لنفسه فحسب ، بل هو يؤمن بأن عمل الفرد يعود فى النهاية الى الجميع ، وينصرف دائما الى العدالة الاجتماعية التى تخضع الفرد والمجتمع لنواميسها وتدفعهما دائما الى الانتاج لمصلحة الفرد والمجتمع .

وقد لخص جمال عبد الناصر رأيه فى مشكلة الفرد والمجتمع تلخيصا قويا لافتا يقول فيه :

ـ لم تزل مشكلة الانسانية منذ أول يوم ، هى مشكلة الفرد والمجتمع : أين تلتقى أهداف كل منهما وأين تفترق ، ذلك لأن لكل فرد يعيش على ظهر الارض هدفا يسعى اليه ، سواء فى ذلك انسان الغابة والانسان المتحضر •

أما انسان الغابة فليس له هدف غير الغذاء والامان والمأوى ، يلتمسها فى ثمرة تسقط عن غصنها ، وفى سهم يبريه من خشب الغابة ليدفع به عن نفسه ، وفى كهف يأوى اليه اذا جن الليل بعيدا عن كل ذى ظفر وناب •

ولا يكاد هدف الانسان المتحضر يختلف كثيرا عن هدف انسان الغابة ، فهو مثله لا يكاد يحس حاجة حقيقية الى أكثر من الغذاء والامان والمأوى ، وان اختلف نوع المطلوب وجهد الطالب ، تبعا لاختلاف البيئة واختلاف الاحساس والشعور ، فانسان الغابة بطبيعته انسان فرد ، لا يحس الا احساس نفسه ، ولا يكاد يشعر بوجود أحد غيره ، فاحساسه بالحياة محصور فى ذاته ، لا يعنيه غيرها مما حواليه من خلق الله ، فهو صاحب الحق ولا حق عليه لأحد، ومن ثمة كانت أنانيته وقسوته ، وهما صفتان تبعدان به عن حقيقة الانسانية بعدا كبيرا •

أما انسان المجتمع فانه يعيش فى بيئته بشعور آخر ، فهو فى الاعتبار الواقع فى جماعة ، وجزء من كل ، وعضو فى شركة عامة تنتظم جميع مواطنيه ، حقه فى ضوء الشمس على قدر حاجته أو على قدر جهده ، فكل محاولة يحاولها ذو قوة أو ذو حيلة ليستأثر أو ليستكثر على حساب غيره من مواطنيه انما هى محاولة معتد يجب أن يضرب على يده ليرتد الى القناعة والرضا بما هو حقه دون فضل ولا زيادة ••

كانت هذه أول قضية اشتجر فيها الخلاف بين انسان وانسان فى أول مجتمع بشرى ، وما تزال هى القضية التى يشتجر حولها الخلاف حتى اليوم فى كل جماعة وفى كل وطن : أقوياء ذوو حيلة يحاولون أن يستأثروا ، أو يستكثروا ، على حساب غيرهم من المواطنين ، فيأبى عليهم غيرهم الاستئثار والاستكثار ، ليظلوا جميعا متساوين فى الاستمتاع بما أفاء الله عليهم من نعمته •

على أن القضية لم تظل على هذه البساطة ، فان الحضارة فى تقدمها المستمر لم تزل تنشىء كل يوم فى قلوب الناس وفى عقولهم أوهاما ومطامع وشعورا بالحاجة الى فنون من الترف لم يكن لهم بها عهد ، ولعل لهم عذرا فى ذلك ، فان لكل ثمرة عطرا يشوق اليها ، فمن الطبيعى أن يتسابق أفراد كل جماعة ليستمتعوا من ثمرات الحضارة بكل ما يتاح لهم ، ومن ثمة كان الاغنياء المترفون من ذوى القوة والحيلة وأصحاب المواريث ، والفقراء المحرومون من الزراع والصناع وذوى المهن ••

أما الاغنياء فلم يقنعهم ما بلغوا من أسباب الترف والنعمة ، وزادهم الغنى شرها الى المزيد ، فلم يبالوا أى طريق سلكوا الى غايتهم ، ومضوا على وجوههم فى سكرة الغنى ، صم الآذان عن صرخات المحرومين ، عمى عن كل ما حولهم من مظاهر البؤس والتعاسة ، غلف القلوب عن الشعور بآلام البشرية ، فلم يلبثوا أن ارتدوا الى مثل طبيعة انسان الغابة فى أنانيته وقسوته وايمانه بنفسه دون غيرها من خلق الله !

وأما الفقراء المحرومون من ذوى المهن فلم يقنعوا ولم يستريحوا ولم يرضوا، وزادهم الفقر عجزا عن تحصيل أسباب النعمة ، فأورثهم سخطا على الجماعة التى يعيشون فيها ، وراحوا يطالبون ملحفين بحقهم فى المساواة ، ثم لم تلبث وحدة الآلام أن حملتهم على التكتل،

فاجتمعوا على رأى وخطة فى الكفاح ليظفروا بحقهم فى الحياة الكريمة الحرة .

ونشأت المشكلة وكثر اللجاج ..

أما الاغنياء وذو اليسار فيزعمون أن ما بأيديهم حق لهم ، حصلوه بأسبابه ، فليس لاحد أن يسلبهم اياه أو ينقصهم منه خردلة ..

ويقولون : قد بذلنا وبذل آباؤنا الجهد حتى اجتمع لنا من المال ما اجتمع ، فليبذل الآخرون من الجهد ما بذلنا وبذل آباؤنا ، ليكون لهم مثل ما لنا ، أو فليذهبوا عنا ..

وأما الفقراء وذوو الخلة فيقولون : ان خير الوطن لا يمكن أن يكون لفريق من المواطنين دون فريق ما دامت الارض والسماء والماء والهواء شركة عامة بين الجماعة التى تعيش على أرض الوطن ..

ويقولون : نحن نبذل من الجهد فوق ما يبذل ذوو اليسار ، فبأى حق يكون لهم هذا الحظ من النعيم ويكون لنا الحرمان والفقر ؟

ويقول الواقفون بين هؤلاء وأولئك : صدق هؤلاء وأولئك ، ولكن العدل الانسانى يأبى أن تعيش طائفة من أبناء الوطن فى نعمة وتعيش طائفة فى حرمان .

ويقولون : ليس من مصلحة أصحاب الثروات أن يدعوا ذوى المهن يموتون هزالا وجوعا ، لان أصحاب الثروات أحوج الى الايدى العاملة منهم ، أكثر من حاجتهم الى ما يكنزون من أموال !

ويسمع الاغنياء هذا فيقولون : قد سمعنا ووعينا ، فسنبذل لهم مختارين ما تطيب به نفوسنا من (الاحسان) ليعيشوا ..

فيرد ذوو المهنة : ليس (احسانا) ما نطلبه ، ولكنه (حق) ، لانه ثمرة ما بذلنا من جهد ، وثمن ما نؤديه من عمل ..

ويسمع الوسطاء ما قال هؤلاء وما قال أولئك ، فيتساءلون فيما بينهم : أيهم أصاب وأيهم أخطأ أهو احسان أم هو حق ؟

ثم يميل بعضهم الى هذا الجانب ويميل بعضهم الى ذاك ، وتتعدد الآراء ، وتتعارض المذاهب وتضطرب العقول والقلوب ، وتنشأ الجماعات المختلفة تدعو كل جماعة منها لمذهب ، ويشتغل الفلاسفة وأهل الفكر فى كل أمة ليخترعوا (نظاما) يفض المشكلة ويحل العقدة ، ثم نسمع عن الرأسمالية ، والاشتراكية والنازية ، والفاشية ، والشيوعية ، والفوضوية ، وعن نظم أخرى لايكاد يبلغها الاحصاء وليس فى واحد منها حل صحيح لمشكلة الفرد والمجتمع ، لان مشكلة الفرد والمجتمع مشكلة الانسانية قبل أن تكون مشكلة مادية ، فلا سبيل الى حلها الا بتربية الشعور الانسانى فى نفوس الجماهير ، وتوثيق أواصر الاخوة الانسانية بين بنى البشر .

ونقف نحن العرب والمسلمين فى هذا الجانب من العالم ، نشهد الصراع الذى يدور بين هذه المذاهب المادية المبتدعة ، ونرقب المعارك الناشبة بين بعض الشعوب وحكوماتها حول تلك المذاهب فنعجب أشد العجب من تلك المذاهب والذاهبين فى سبيلها من الحكومات ومن الشعوب على السواء ، لان مشكلة الفرد والجماعة التى حيرت كل المفكرين والفلاسفة فى أوربا منذ قرنين أو منذ قرون ، قد وجدت الحل الصحيح فى بلادنا منذ ألف وثلثمائة سنة ، منذ نزل القرآن على محمد بن عبد الله يدعو الى الاخوة الانسانية ، ويفصل مبادىء العدالة الاجتماعية على أساس من التراحم والتكافل الاخوى والايثار على النفس فى سبيل النفع العام للجماعة ، من غير طغيان على حرية الفرد ولا اذلال له ولا انكار لذاتيته ..

« ان الله يأمر بالعدل والاحسان ، وايتاء ذى القربى ، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى .. »

ذلك هو النظام ..

فليكتف المفكرون والفلاسفة بما بذلوا من جهد ، ولا يبحثوا منذ اليوم عن حلول أخرى لمشكلة الفرد والمجتمع ..

ان عندنا الحل ..

الحل الاول .. الذى نزل به الوحى على نبينا منذ ألف وثلثمائة سنة .. هو الحل الاخير لمشكلة الانسانية !

هذه الافكار التى يغرسها جمال عبد الناصر هى حقيقة الشعور الشعبى الثورى ، وهى صدى لايمانه الكامل بحق الشعب فى الحياة الحرة الكريمة ، وقد كانت حياة جمال منذ بدايتها حتى اليوم كفاحا متصلا ، فهو لم يعرف معنى الترف أو الحياة على حساب الآخرين ، بل كان يعمل ليعيش كما يعمل كل مواطن حر فى مصر ، ولهذا لم يكن غريبا عليه بعد أن وصل الى الزعامة الشعبية أن يتمسك بمثله العليا فى الحيـــاة ، وأن يدعو الناس الى هـــذه المثل التى تفتح أمام المواطنين جميعا أبواب الكفاح الحقيقى فى سبيل حياة حرة كريمة .

السياسي

انـنــا نعيش الآن في عصر جــديد يختلف عن العصــور الماضية . فلقـد استيقظ في الشعوب وعي جديد لا يمكن معه وقف تيار القومية والنهوض .

« جمال عبد الناصر »

وسط الاحداث نشأت سياسة الزعيم الثائر جمال عبد الناصر ومن قوة الاحداث استمدت هذه السياسة قوتها .

ولم يكن غريبا أن يقفز اسم جمال عبد الناصر لكى يصبح رجــل العالم لسنة ١٩٥٥ وسط سياسات العالم المتصارع المتضارب ، ولم يكن غريبا أن يرشح العالم الغربى زعيم مصر وقائد ثورتها ليكون رجل العالم لسنة ١٩٥٥ فقد صنع جمــال عبد الناصر المجد بيديه ووصل الى القمة بكفاحه ، وأدركه بصبره وقوته .

وجمال عبد الناصر طراز من رجال السياسة ، فهو لا يدور ولا يلتمس الحلول للمشكلات على الورق ، ولا يبحث عن الالفاظ البراقة التى تخدع الجماهير ، ولا يصطنع الوسائل التي يلقنها رجال السياسة منذ مطلع حياتهم ويسيرون على هديها فى المراوغة والمخادعة ولكنه زعيم له رسالة يقوم بها ، وله أهداف يسعى الى تحقيقها .

ولم يعرف عنه العالم منــذ تكلم ورفع صـــوت بلاده فى أرجاء الارض أنه يلتمس قوته من الاقوياء ، بل عرف العالم أنه يؤمن بأن قوة بلاده أقوى من جميع السياسات الخارجية ، وأقوى من جميع القوى الرجعية فى الداخل .

وقد لخص جمال عبد الناصر أهــداف الثورة وما تنطوى عليــه فلسفتها من مبادىء فيما يأتى :

١ ـ القضاء على الاستعمار وأعوانه

٢ ـ القضاء على الاقطاع

٣ ـ القضاء على الاحتكار وسيطرة رأس المال على الحكم

٤ ـ اقامة عدالة اجتماعية شاملة

٥ ـ انشاء جيش وطنى قومى قوى

٦ ـ اقامة حياة ديمقراطية سليمة

وهذه المبادىء هى خلاصة السياسة الداخلية التى رسمها جمال عبد الناصر وحققها تحقيقا كاملا فى كافة مشروعات الثورة التى أقيمت من أجل الشعب ولخدمة الشعب ٠

وقد شهد الملايين حقائق هذه المشروعات التى نفذت أو هى فى طريقها الى التنفيذ ، وآمن الشعب ايمانا عميقا بأن حياته الجديدة تسير نحو التطور الذى يخلق من مصر بلدا صناعيا قويا يعتمد على نفسه ، ويزهو بقوته ٠

وأخيرا شهدت الملايين الدستور الجديد الذى قلب الحياة السياسية فى مصر ، وجعلها تستمد قوتها من الشعب بعد أن كان دستور سنة ١٩٢٣ يستمد جبروته وسلطانه من الملك الذى كان يملك كل شىء ويسيطر على البرلمانات والوزارات ومصائر الناس ٠

وهذا الدستور الجديد هو عنوان الاشتراكية المصرية الجديدة فى عهدها الثورى ، وهو السمة الظاهرة من سمات ثورة ٢٣ يوليو التى قامت من أجل الشعب وتعمل لمصلحة الشعب وفى كل نص من نصوصه حق للشعب ، وفى كل سطر من سطوره تمجيد لقوة الشعب ٠

أما السياسة الخارجية التى رسمها جمال عبد الناصر فهى

سياسة استقلالية حرة لا ترتبط بمعسكر من المعسكرات ولا تستند الى قوة من القوى ، وقد وضح زعيم الثورة هذه السياسة فى مؤتمر باندونج فقال :

« ان مصر التى ظلت أمدا طويلا خاضعة للسيطرة الاجنبية تقف الآن وقفة المدافع عن الحرية والرفاهيــــة للشعوب كلمــا سنحت الفرصة لذلك ، وتأييد مبدأ تقرير المصير لكافة الشعوب ، وهــذا أظهر ما تتسم به سياستنا الخارجية ، وطالما أيدت مصر الجهود التى تبذل فى سبيل نصرة الشعوب المختلفة لتحقيق ما لهـــا من حقوق ومصالح مشروعة طبقا لنصوص ميثاق الامم المتحدة » •

والميسم الثانى الذى تتسم به سياستنا الخارجية ايماننا الراسخ وتأييدنا الدائم لهيئة الامم المتحدة كمنظمة عالمية فعــالة تعمل على صيانة الامن والسلام العالمى وتوفير الرفاهية لشعوب العالم

والسمة الثالثة لسياستنا الخارجية هى توسيع نطاق التعاون بين دول الكتلة الآسيوية الافريقية ، لأنى على يقين من أن التعاون بين الدول الآسيوية الافريقية من شأنه أن يقلل من حدة التوتر الدولى القائم الآن » •

وفى باندونج طالب جمال عبد الناصر بتصفية الاستعمار ، وطالب بتحرير فلسطين من الصهيونية ، وتحـــرير شمال افريقيـــا من الاستعمار الفرنسى •

وفى باندونج صاح جمال عبد الناصر صيحته المدوية فى الآفاق **عندما قال أنه يرفض الاحلاف العســكرية التى تزيد التوتر الدولى** والتسابق فى التسلح ولا تكفل السلام لأية دولة •

ويوم عاد جمــال عبد الناصر من باندونج وقف وسط جمــاهير الشعب ليعلن أن مصر اليوم قد تحررت واستقلت وقال فى ايمــان وعزيمة صادقة :

« سافرت لأعلن باسمكم أن مصر التى حملت مشعل الحرية فى الداخل تحمل مشعل السلام فى الخارج ، ان الحرية والاستقلال هما أسمى ما تحرص عليه الشعوب .. ومن أجل هذا رفعت باسمكم علم الحرية وعلم الاستقلال وأعلنت سياستنا الداخلية من أجل اقامة عدالة اجتماعية والقضاء على الاقطاع والاستعمار » .

وهكذا استطاع جمال عبد الناصر أن يسيطر بقوة كفاحه ، وقدرته على اعلاء كلمة الشعب ، واستطاع أن يصبح السياسى الثائر رغم أنف الاستعمار والرجعية وقوى الشر التى تعمل فى الخفاء .

انه الايمان الذى يملأ نفس الزعيم الثائر جمال عبد الناصر .

الايمان بالله وبالوطن وبنفسه .

وفى بريونى أكد الرئيس جمال عبد الناصر مبادئه السياسية الرفيعة التى ظل الاستعمار يحاربها بكافة الوسائل حتى وقع العدوان الثلاثى الغادر على مصر فى أكتوبر ونوفمبر ١٩٥٦ فارتفع صوت الزعيم الثائر مجلجلا فى الآفاق ، واستطاع فى أحلك الساعات أن يقود أمته نحو النصر وأن يبدد من سمائها الغيوم الداكنة التى رسمتها أيدى المعتدين الآثمين .

وارتفع جمال عبد الناصر ارتفاعا فوق ارتفاع .. وسقط أعداؤه الآثمون فى هوة سحيقة ليس لها قرار .

ارتفع السياسى الثائر ، وأصبح علما من أعلام الكفاح الحر فى العالم بأسره ، واستطاع بقوته وبقوة شعبه أن يقهر قوى الاستعمار الغادر واستطاع أن يحطم جميع الدسائس والمؤامرات التى دبرها الاستعمار .

انه الايمان الذى يملأ نفس الزعيم الثائر جمال عبد الناصر ..

الايمان بالله وبالوطن وبنفسه ..

الفهـــرس

مجموعة مصرية ١٠٠٪

نبحث فى مشاكل الساعة الدولية

السياسية والاجتماعية والاقتصادية

من وجهة النظر المصرية

تصدرها لجنة



صدر من المجموعة عشرة كتب

الكتاب الحادى عشر : أسرار الحملة على مصر

الكتاب الثانى عشر : الزعيم الثائر

دار القاهرة للطباعة

الثمن